جمال صالح الفريخ

# كان فى يدى

## رواية

وحتى الصقر ركَّاز العَلاوى ... ان جاه الضَّيم من وَكْرَه جلا

طبعة أولى يناير 2020

# بطاقة الكتاب

| | |
|---|---|
| عنوان المؤلف | كان فى يدى |
| المؤلف | جمال صالح الفريخ |
| التصنيف | رواية |
| رقم الإيداع | 2729 - 2020 |
| الترقيم الدولي | 978-977-6771-49-9 |
| الإصدارالداخلى | 581الطبعة الاولى ديسمبر 2019 |
| عدد الصفحات | 120 صفحة |
| تصميم الغلاف | مؤسسة النيل والفرات |

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ولا يحق لأى دار نشـــر طبع ونشر وتوزيع الكتاب أو ترجمته أو الإقتباس منه أو نشره على النت الا بموافقة كتابية وموثقة من المـــؤلـــف

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع

ثورة مصرية تشرق إبداعاً على الوطن العربي

رئيس مجلس الإدارة

ناجى عبد المنعم

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع

أسسها الشاعر ناجى عبد المنعم عام 2017

رخصة مزاولة مهنة:58365 – سجل تجاري: – 13242 / 2017 – بطاقة ضريبية: 35—01—572

عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018

هاتف:01011256943 – 01116202218 – 01202541192 تليفاكس:020554372901

nagyegy200064@gmail.com النيل والفرات

alnilwaalfourat@gmail.com alnilwaalfourat

المقر الرئيسي:ج.م.ع محافظة الشرقية – العاشر من رمضان – مجاورة 13 – أمام سنتر الـ13 – عقار 304

## الـ.....:

لم انتبه لما يحدث حولي رغم قساوته ، فقد كنت في طفرة الشباب وعنفوانه ، لم انتبه في تلك الفترة الا عندما غابت عني ولم تعد ترد الماء ، فقد جف النبع ، يا الهي يجف النبع فيجف الحب ، هنا فقط نظرت حولي ، لم اكن انظر للاخرين او ما يحدث في نجعنا ، لم انتبه الي ان عدد اللقيمات في البيت قد قل ، وان الشاي قد شح ، وان الهزال اصاب امي واخواتي ، وان رجال النجع لم يعودوا يتسامرون كالسابق ، وان اعداد ابناء قبيلتي في تناقص ، فمن لم يخطفه الموت جوعا ، خطفته الدنيا هربا من الموت جوعا الي الموت هجرة ، وان من رحل عنا ليقطن المعلقات خوفا علي نفسه من قطاع الطرق وهجمات اللصوص ، وخوفا من أن تأتيه المنية في الخلاء فياكل من تحول الي غيلان لحمه .

لم انتبه الا أن الاشجار لم تعد تورق ، وان العصافير لم تعد تغرد ، وان السماء صافيه لم تعد تشوبها السحب ، لم انتبه ان لا حياة في النجع ، فقد كانت هي الحياه والنجع والنبع ، كنت هائما مسحورا في بسمتها ونور الحياة يشع من ثغرها ، الليل والسكون والهدوء اراه في جدائل شعرها ، لم انتبه اني في زمن عمت فيه المجاعه

**.. و ان القحط ركب ظهر البلاد ، وهاهو اليوم الثالث علي التوالي الذي لم ارها فيه ، يبدو انني استيقظت من غفلتي او غفوتي او حلمي .**

**يا الهي ، لم تيقضني كلمات امي ولا نصائح ابي ولا استجدائهم ان انظر حولي وان اساعدهم ، فانا من كانوا يرجون خيره ، فانا فتوة الصبى والامل ، ولم الحظ ان الهزال قد طالني ايضا .**

**لم انتبه الي فقدان شباب وشيب واطفال نجعنا ، لم انتبه الي آالة الموت وهي تحصدهم ، لم انتبه للذين رحلوا عن نجعنا ولم يعودوا بل لم نعد نسمع من اخبارهم شيئا .**

**جلست علي حافة وادينا ، هنا كان النبع ، هنا الماء كان يصدر الحانه ، ولكن اين هو ؟ اين تلك العصافير التي تشجيني وهي تغرد ، ولا تصمت الا اذا تكلمت هي ؟.**

**يا الهي ، فقد شح المطر ويبس الزرع وجف الضرع .. وتساقطت اوراق الشجر عن اغصانها ولم تعد اليه رغم مرور كل فصول السنه ، وانا غائب او مغيب ، انا الحاضر الغائب .**

**لم الحظ ان اهلي ورجال لم يعد تجمعهم ليالي السمر ولم يجتمعون من زمن علي فرح ، وان اي فرد من نجعنا يخاف علي نفسه ان يغلبه النعاس مع غريب او اي فرد**

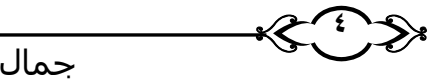

**ليس من اسرته .. فكما يقولون ( الجوع كافر ) فقد اكلت الناس كل شئ .. حتى التراب .. وانتشرت القصص والخرافات عن الغيلان التي بدأت تنتشر في البلاد حتي سمي بمسميات عده منها ( عام الغوله – عام الكشكار ) فقد اكل الناس الجيف واكل الرجل لحم اخيه .. ولم يعد احد يترك قبر عزيز له دون حراسه خوفا من ان تسطوا عليه الغيلان ، فقد تركتنا حكومة العصملي في تلك الفتره .. ولم نعد نري جنودهم من الجندرمه يأتون ليجمعون الاعشار .. وتركتنا نحن والقحط والغيلان .. ما ينجو من براثنهم الا طويل العمر**

**واستمر الحال من سئ الي الاسوء .. كنت في مقتبل الشباب موفور الصحه .. ولكن انتبهت الى انني عالة علي اهلي .. فقد كنت مستهلكا لما يتحصلون عليه بدلا من ان اكون ذاك الفحل الذي يساعد ..لذلك قررت الرحيل .. هذا ما نتج عن جلوسي علي حافة الوادي ، مع معارضة ابي وامي وهم يسألون الي اين ؟ وكنت اجيبهم ( بلاد الله واسعه ) ووالدي يردد شطر بيت لم اعد اذكره ولكن دائما ما ترن في اذني تلك الشطرة منه التي تقول ( واللي خلق مايسيب ) اي ان الذي خلق الكون لن يتركه ، لم تثنيني توسلات امي ولا نظرات ابي ، ودعت امي وابي بعد ان جهزت مؤنة سفر التي كانت عباره عن قربة مياه صغيره وعصاي وقطعة خبز اشبه بغصن الشجر اليابس .. ومع فجر يوم خميس**

بدأت رحلتي ، ولم اجرؤ علي وداعها ، ام انني لم امهلها حتي تودعني خوفا من ان تثنيني علي ما عزمت عليه .

يممت وجهي شطر المغرب ، فكثيرا ما تتناول الحكايات خصوبة ارضه ، لم اتوقف عن المسير .. ولم يوقفني شئ .. لانه لم يكن هناك شئ يستحق ان اقف عنده .. فكل ما مررت به من قري ونجوع .. كانت حالها اسواء من حالنا .. بل كانوا يخافون مني اكثر مما اخاف منهم ، فلا يعلمون قد اكون احد اللصوص او الغيلان ، وكان الموت والامراض تنتشر في كل مكان .. ولا تسمع الا الانين وصراخ الاطفال .. ولم اتوقف عن المسير .. رغم التعب والجوع .. كان هناك امل اراه امامي لا اعرف ما هو ولكني اراه .. كأن صوت يناديني ويدعوني .. تعال .. تقدم .. وكنت احث السير .. واحاول ان التهم الطريق خطوة تتلوها خطوات .. اهبط واديا واصعد تله .. وكلما اشرف من تله تتراءى امامي تلال لا متناهيه .. ولكن كنت اشد من عزمي انني اقتربت .. لكن من اي شئ اقتربت لا ادري .. ولكن كان يقينا وليس املا فقط .. ان هناك شيئا ينتظرني .. ولم انتبه الا و نسمات من هواء البحر تلفحني بين الحين والاخر .. اذا قد اقتربت من الساحل .. وها انا اري ذلك البحر اللجي العظيم الذي تتلاطم امواجه .. اااه لو كان هذا الماء عذب .. لا لالا .. لم اقترب منه خوفا من ان يزيد عطشي .. ولكنني سرت علي رمال الشاطئ الرطبه .. فقد شعرت ببرودتها في

قدمي ، وخففت من المها .. رغم انها كانت تلسعني بين الفينة والاخري من اثر الجروح التي خلفها المسير .. والشقوق غائرة من تعب الحياه .. ولكن الخوف والريبه جعلتني ابتعد عنه واصعد تلك التله .. وبدأ قرص الشمس في الرحيل .. واخذت انظر هنا وهناك لعلي اجد مكان ارتاح فيه قليلا .. هاهو .. هذه الصخره .. اقتربت وافترشت الارض ..واسندت ظهري لذاك الحجر .. ارتشفت بحذر قليلا من الماء .. ونظرت هنا وهناك واصغيت السمع ..السكون مطبق .. لانسمات هواء .. ولا اوراق بالشجر كي تداعبه .. ولا عصافير تزقزق .. الخلاء .. والخواء كل ما في ذالك المكان .. وبدأ الليل يسدل استاره ..اسندت ظهري علي امل ان احصل علي سنة من النوم لاجدد نشاطي وقدرتي علي المسير .. كان النعاس يغالبني .. ولكن في نفس الوقت كان ذاك الصوت يناديني .. وانا بينهما .. فحلاوة النوم بدأت تداعب جفوني .. ونداوة ذاك الصوت كانت تطرده.

انتبهت من نومي علي سياط تلسعني .. وادركت ان سلطان النوم كان هو الفائز بي .. كانت الشمس قد اشرقت وبدأت تلسع جسدي .. السكون مطبق علي كل شئ .. اخذت بعض الماء بحذر .. مسحت به علي وجهي .. وارتشفت رشفة لا تروي ضمأ عصفور .. واخذت عصاي .. ووقفت وواصلت المسير الي المجهول .. وذاك الصوت لازال يداعب سمعي ويدعوني الي التقدم .. ويعاتبني علي

**التاخر .. وانطلقت لا الوي علي شئ ميمما وجهي شطر الغرب .. وبدأت اشعر بالارهاق والتعب من جديد .. فيبدو انني قطعت مسافة ليست بالقصيره .. الغريب في الامر ان فكري كان خاليا من اي افكار تراوده .. صفاء ذهني ازعجني .. يا الله .. فعلا لانعرف ما نريد ان زارتنا الهواجس والهموم ضجرنا .. وان تركتنا وصفي ذهننا انزعجنا .. وواصلت المسير .. وهاهو اليوم الثاني يكاد ان ينقضي دون ان اصل الي شئ .. وهاهي الشمس في كبد السماء .. ولا اجد مكانا فيه ظل احتمي به .. فالخلاء والخواء هو المكان .. ولم اتوقف رغم التعب والنصب .. وكاني اسابق قرص الشمس .. من منا يصل اولا الي نهاية الرحلة .. واخرجت قطعة الخبز اليابسه التي هي كل زادي .. قطعت منها جزء .. واعدت البقية الي المخلاه .. وبدات الوكها واتلذذ بطعمها .. ولا اريد ان ابتلعها .. فهي كل زادي لهذا اليوم .. قرص الشمس كان اعرف مني واسرع للطريق .. فها قد بدأت الشمس تغيب خلف الحجب .. وها انا بدأت ادخل صحراء قاحله .. لاول مرة تطأ قدماي رمالها .. يا الله ما اوسع ملكك .. لاشئ فقط رمال .. حتي هي تشكل وديان وتلال .. فطيلة هذا النهار لم تمر علي اي نوع من الحياه .. هذا الطريق كان يعج بالقوافل .. وبمواكب الحجاج القادمه من الغرب .. ولكني كأنني كنت وحيدا في ذاك العالم .. رغم انني كنت اسير علي الطريق المعروفه .. علي امل ان اجد ونيسا في رحلتي .. هاهي سدائل الليل بدأت تهبط .. وها**

هي نسمات المغرب تهب .. وهاهي رحلتي لهذا اليوم تكاد ان تتوقف ، وداعبت خيالي فكرة العوده ، فيبدو ان لانهاية لهذا الطريق ، رمال ورمال ورمال ، وقد بدء الخوف يساورني ان تبتلعني الرمال ، وقد بداء التعب ياخذ مني مأخذه ، فان اموت وحيدا في هذه الفلاة امر يخيفني ، نعم ، اعود الي اهلي وناسي ، علي اقل تقدير ساجد من يواريني ويستر عورتي .. ولكن هاهو الليل ارخي سدوله ، ولابد لي ان ابحث عن مكان آمن لابيت فيه ليلتي .. فهذا المكان لا اعرفه .. ولا اعرف بوائقه .. كانت هناك صخرة لازلت اراها رغم غياب ضوء النهار ليست ببعيدة عني .. قررت ان احتمي بها واسند ظهري اليها لانام .. هذا ان استطعت فقد بدأ الجوع يقرصني .. وبدأت قوتي في الاضمحلال .

وصلت تلك الصخرة .. سويت مكانا بقربها وجلست .. واسندت عصاي بجانبي .. اخرجت مطارتي وهززتها .. لازالت مملوءه بالماء .. شربت منها ما روي عطشي واسكت قليلا من جوعي .. ووضعتها بجانبي واعتدلت في جلستي واسندت ظهري لتلك الصخره .. وبدأت اتلو في ادعيه اتذكر ان جدتي هي من علمتني اياها .. واغمضت عيني واسلمت نفسي للنوم .. ذاك السلطان القاهر لكل شئ .

لم ياخذني النوم في طياته .. انا متأكد من ذلك .. فقط اسدلت جفوني .. ولكنني احسست به .. هناك شئ

يقف امامي .. وشعرت بقشعريرة تسري في اوصالي .. وانتصب شعري راسي ويدي .. واخذت يدي تتلمس مكان عصاي وقبضت عليها بيدي .. هل بدأت في حلم مزعج ام كابوس .. ام هي الحقيقه ما احسست به .. ولكن لانظر واري ولاقطع الشك باليقين .. وخوفا او حذرا سمه كما شئت .. بدأت افتح في عيني وارفع جفوني المسدله من التعب والخوف والجوع .. ارفعها بحذر.. لا لست احلم ولا اتخيل .. هاهي مساحة بيضاء ناصعة البياض تكاد تشع تقف امامي .. لابد انه حلم .. فما من شئ يضئ في هذه الصحراء .. قد يكون احد الاولياء او جد صالح قرر ان يزورني في المنام ليؤنس وحدتي ويزيل خوفي .. ولكن هذا ليس حلما ها انا افتح عيني وانظر بهما رغم تعبهما .. هاهويقف امامي .. رجل في مقتبل عمره موفور الصحه يرتدي ذالك الجرد الابيض والشنة الحمراء .. يكاد وجهه يضئ في عتمة الليل من وضاحته .. تأملته من اعلي رأسه الي اخمص قدميه .. لا لست احلم .. هممت بالنهوض .. فسمعت صوته .. انه ذاك الصوت الذي كان يناديني .. يا الله .. هل انا احلم .. فقد سمعت ما قاله :

- الحمدلله علي السلامه ..

قفزت واقفا رغم ان رجلي كانت ترتجف .. وكما قلت لا ادري هل خوفا او فرحا او تعبا .. واستجمعت كل قواي :

- الله يسلمك ..
- يبدو عليك التعب والجوع .. من اين انت ؟
- من بلاد الله .. غريب في بلاد غريبه
- كلنا غرباء في هذه الدنيا .. اهلا بك .. هيا .. هيا
- الي اين ؟
- بيتي قريب .. واكرام الضيف واجب ..

وتحرك .. حاولت ان اناديه لاعتذر له عن الذهاب معه .. فقد كانت هناك ريبة .. خشيه .. خوف .. من الذهاب معه .. ولكن في نفس الوقت الجوع والتعب وضعفي امام طلبه .. فقد كان كأنه امر وليس طلبا .. جعلني التقط قربتي وعصاي واتبعه وانا صامت .

هاهي الصحراء امامي .. واحس برمالها في قدمي .. ويبدوا انني نمت .. فقد عم الظلام المكان والوقت قارب علي منتصف الليل .. هذا ما تدل عليه النجوم المرصعه لتلك السماء الصافيه .. ورغم عتمة الليل الا ان صاحبي كان كأنه يشع .. وجرده الابيض كأنه المصباح ينير الطريق لي لاتبعه .. وتوقفت عن التفكير او ان التفكير توقف من ذاته .. فلم يعد يراودني شئ .. ولا اسئلة تطرح داخل جمجمتي .. كأنني مربوط اليه بحبل يقودني خلفه .. مسلما امري طوعا وكرها .

لم نسر طويلا فقد لاح من بعيد بصيص من ضوء نار يتراقص .. وعلي تراقص لهيبها تري مجموعة من الخيام .. الغريب ان النار امام بيت واحد فقط .. نعم يبدو انه بيت شيخ هذا النجع .. واقتربنا ودخلنا النجع .. السكون والصمت يطبق علي المكان .. ها نحن نقترب من النار .. ولكن لا ادري لماذا كانت كلاب النجع نائمه امام البيوت .. مافائدتها ان لم تحرس .. اقتربنا من النار كان هناك كلب امام البيت قرب النار حاول ان يقف .. وصدر عنه صوت اقرب الي الانين منه الي النباح

- مرزوق ..

ولكن الكلب ما ان سمع تلك اللهجة الامره الناهيه الصادره عن صاحبي .. حتي انخرس واطبق فكيه وسلم رأسه الي الارض وعاد الي النوم .. دخلنا البيت كان بيت كبير .. ويبدو فعلا انه بيت شيخ النجع وان صاحبي هو شيخ هذا النجع .. فقد كان فرشه من السجاد الثمين .. بالاضافه الي انواع المصابيح ذات الزجاج اللامع والنظيف التي تتراقص بداخلها الشموع .. ومخدات وطنافس من الجلد مرتفعه .. والغريب ان في وسط المكان كانت هناك مائده كبيره قد وضع بها ما لذ وطاب من الطعام والفواكه .. يبدو انهم لم يأكلوا الي الان وكانوا ينتظرون الشيخ .

وقفت في مدخل البيت وانطلق هو الي داخله وجلس والتفت الي .. ونظر الي مليا قبل ان يدعوني للدخول بلهجة بين الامره والرجاء .. قريبة في حدتها من لهجته التي سمعتها منذ قليل عندما نهر الكلب .. دخلت ونفسي تحدثني ولكن بما تحدثني .. ريبه شك .. فيما .. فهو الي الان لم يخطئ في شئ .. شيخ وجد ضيفا بالطريق دعاه الي بيته ليكرمه .. وهذا ليس بغريب .. فهذه من عادات الناس الخيرين .. ولكن مع كل ذلك هناك ريبه .. حملت اقدامي وتقدمت وجلست قبالته والمائدة بيننا .. ورائحة الطعام الزكيه تكاد ان تقضي علي .. حتي انني اسمع قرقعة داخل بطني من شدة الجوع وتكاد ان تخرج وتلتهم ما علي المائده ولا تنتظرني حتي القمها .

- تقدم .. تفضل .. كل

قالها لي دون ان يمد يده .. او يغير من جلسته .. اقتربت قليلا من المائده .. شمرت عن ذراعي .. وهممت بأن ابدأ معركتي مع ما فيها .. لكني توقفت ونظرت اليه مليا هذه المره .. وكأني أراه للمرة الاولي او ربما لان ضوء المصابيح المنتشر في داخل البيت اوضحت صورته مليا .. كان في مقتبل العمر قد يكون تجاوز الاربعين بقليل سمح الوجه .. امرد .. تسيطر علي ملامحه غيمة من الحزن رغم مكابدته لاخفائها .. ولا ادري ان كان ينظر الي او الي شئ

**لا اراه فقد كانت نظراته ساهمه .. وانتبه الي انني لم اباشر الاكل فردد**

- **تفضل كل .. لماذا لاتأكل الست جائعا ؟**
- **بل علي العكس يكاد الجوع يقتلني**
- **اذا لماذا لاتأكل .. ام ان الطعام لايعجبك .. اطلب نغيره لك**
- **لالا استغفر الله .. لكن انتظرك ان تبداء وتشاركني**
- **لا كل فقد سبقتك .. تفضل ولا تشغل بالك بي..**

**وكأنه بكلماته تلك اطلق الغول الذي بداخلي .. ولم اعد اري او اسمع اي شئ .. حتي ما كان يتمتم به بين الحين والاخر .. فقد كانت كل جوارحي مشغولة .. يدي بتقطيع اللحم ورفعه الي فمي مع الثريد .. واذناي تستمتع بصوت طرقعة العظام وطحنه بين اسناني .. وعيناي مشتته بين هذا وذاك .. ولم انتبه الا وقاع الصحن قد ظهر وبان بعد ان اختفي ما كان عليه من الثريد واللحم .. انتبهت .. ونظرت اليه وكنت متأكدا انه كان يراقبني ويبتسم وهو يشاهد ذالك الغول الذي اكل مأدبه تكفي عدد من الرجال .. نظرت اليه ولكن لم يكن ينظر الي .. فقد كانت نظرته هي هي .. تلك النظرة الشارده تكسوها تلك الغمامة من الهم والحزن .. مسحة شاربي من اثر الدهن .. ثم مسحت يدي ببعضهما ومسحتهما علي وجهي .. ياااااه ما اطيب هذه الرائحه .. من زمن لم اشتمها**

.. بل ولم يخطر علي بالي ان اشمها .. فقد نسينا اللحم والزفر .. يااه فعلا الجوع كافر .. والشبع نعمه .

- هل تريد الشاي ..؟

باغتني بالسؤال وانا سارح في الملكوت بعد ان سكت الجوع وهمدت بطني عن الصراخ وبدأ يصيبها الم التخمه .. ويكاد النعاس يطبق علي من اثره ..

- لا داعي ان اتعبك
- ليس هناك من تعب .. هاهو علي النار .. هل تريد ؟
- لا عليك .. ساحضره بنفسي ..

ولكن كان هو اسرع مني الي النار .. وكنت عاجزا عن الحركه .. اتي وسكب لي كوبا من الشاي .. رائحته كانت تسكر وتسحر الالباب .. اااااه يا لها من رائحه .. استلمت الكوب منه وبدأت ارتشفه قطره قطره .. فقد كان ذي طعم تخاف ان تنقطع .. ليس لها مثيل .. اكملت ارتشاف الشاي ووضعت الكوب بجانب الصحن .. وحمدت الله كثيرا علي هذه النعمه .. وهممت بالحديث لاشكره.. ولكنه كان اسبق مني فقد بادرني قائلا ..

- هل ينقصك شئ .. اطلب وتمني
- بارك الله فيك .. صفره دائمه
- لا عليك لاتستحي .. اطلب ما تشتهي واعتبره لديك

- كفيت ووفيت .. يارب اجعله بيت عامر
- كان في ما مضي بيت عامر .. ولكنه خاوي الان
- كيف ذالك .. بسلامة اهله
- واين اهله ..

وعادت اليه تلك المسحة من الحزن .. وتوقف عن الكلام .. واحسست بأن مصابه جلل وبأن هناك شئ يكدر صفو حياته .. وشعرت بأنه من واجبي ان اسري عنه وان احاول ان اخفف عنه .. ولكن ماذا اقول له وانا لا اعرف عن ما يتحدث وماهي قصته حتي استطيع ان اقول كلاما له معني .. وكأنه كان يقراء ما يدور بخاطري .. او انه احس بالحيرة التي انا فيها .. فبعد صمت ظننته الدهر .. عاد ليقول لي ..

- بكل تاكيد انت تسأل نفسك ما هي قصتي .. سأرويها لك لكن لاتسألني عن اي شئ حتي اوضح لك انا بنفسي .. ولا تستبق الاحداث فستأتيك بدون ان تطلبها تباعا .. نحن في هذه العشيره ككل العشائر الاهل الاخوه الابناء هم العزوه وهم السند لكل منا في هذه الحياه .. بدونهم لايحلو لنا العيش وتصبح حياتنا ايام تمر علينا الامس كاليوم كالغد .. لاطعم لها ولا لون .. وما هي الدنيا بدون الزوجه والاولاد .. حكايتي بكل اختصار ..

وتوقف عن الكلام .. وانطلقت منه تنهيده كادت تحرقني بما تحمل من لهيب وحرارة ومرارة احسست بانها لسان لهب وليس بعض النفس الدافئ .. نظرت اليه .. تملكني الرعب والخوف وارتعدت اوصالي .. فقد تغير وجهه واصبح كأنه الشرر.. لالا .. انا لا اتخيل ذلك بل حقيقه .. فمع تلك الزفرة التي كادت ان تحرقني تغيرت ملامحه ووقف كأن افعي لسعته .. واتجه الي خارج البيت ونظر الي السماء المرصعه بتلك النجوم .. واطلق عنانه للحديث

- تزوجت ابنة شيخ القبيلة .. وكانت من اجمل بنات الدنيا .. وذات ادب وعلم وحياء .. كانت كالنسمه عند تحركها في البيت .. كانت كلماتها بلسما يزيل عني كل مصاعب الحياه .. كانت اجمل من الورده .. ورائحتها اطيب من الزهر .. كان كل من في العشيرة يحسدني عليها .. فهي ابنة الشيخ الوحيده .. لم ينجب سواها .. ومعني ذلك سأكون الوريث الوحيد لمشيخة القبيله .. وكل كنوز واموال والدها .. ومكانته ستؤل الي .. استمرت بنا الحياه وانجبت ابني الاول ثم الثاني ثم الثالث .. وبدأت الحياة تدب في اوصالنا وكل يوم كان اجمل من اليوم الذي يمضي .. وكانت سعادتنا وسعادة والدها مع احفاده .. وبعد ان كانوا رضعا كبروا وتعلموا المشي .. ويوم بعد يوم .. والدنيا يبدو انها ضحكت لي .. فلم

اعد اطلب منها شئ .. فكل ما اريده واتمناه بين يدي .. زوجة جميلة وصالحه وابناء زينة الحياه .. وموعدي مع تولي مشيخة القبيله وارث شيخها .. فماذا اطلب اكثر من ذلك .

كان يسرد حكايته وكأنه يناجي السماء .. ونجومها .. وذاك البدر الذي بداء يرتفع ليشع بنوره في ظلمة الصحراء .. عندما كان يصفها ويتحدث عنها كأنه يعانق تلك النجوم .. يكاد ان يطير في الفضاء .. كنت اصيغ السمع الي كلماته النابعه من قلبه تشوبها تلك الحرقه التي اتشوق لمعرفة سببها .. واكاد اسأله ولكنني امسك عن السؤال .. فقد نبهني قبل ان يبداء في سرد الحكاية الا استعجل .. اعتدلت في جلستي مع التفاتته الي .. وكانت عيناه تتقد شررا .. اقترب وجلس في مكانه ..

- حتي جاء ذالك اليوم .. كنت متغيبا عن القبيله .. حيث كنت مع قافلة الشمال .. وكانت هي والاطفال عند الغدير .. قد افترشوا الارض تحت ظل شجره واخذهم السبات فناموا .. ولم يخطر ببالهم ان هناك مجرمون لايتورعون عن القتل والدمار .. لايتورعون عن قتل النساء والاطفال .. قتله سفاحين .. ملاعين .. فقد رمي عليهم ماء من نار وهم نيام فقتلهم .

**واخذته رعده .. وتوقف عن الكلام وطأطاء برأسه الي الارض .. وبداء يتمتم بكلمات لم اتبينها .. ولم ادري انا ما افعل ولا ما اقول .. فالمصاب جلل .. وكيف اهون عليه بعد هذه الخساره .. وانقلاب دنياه من لعب وضحك ومرح .. الي هذا الكم من التعاسه وفقدان كل مايحب .. ولكنني سألته .**

- **وهل قبضتم عليه**
- **لا .. لا.. ( قالها صارخا )**
- **لماذا هل هرب ولم تعرفوه**
- **لا .. نعرفه حق المعرفه .. ولكنه محصن منا اشد التحصين .. ولا نستطيع النيل منه الا ان تحصلت علي المساعده**
- **ومن يرفض المساعده في القبض علي مجرم**
- **هل تساعدني لو طلبت منك ذلك**
- **بكل تأكيد ..**
- **اتقسم علي ذلك .. اتقسم ؟**
- **لاتحتاج الي قسم فكلمة الرجل قسم بذاتها**
- **لا .. اتقسم علي ذلك .. ها .. اتقسم**
- **نعم اقسم ان افعل ما استطيع في سبيل ان تنال ثأرك منه ..**

**عندما قلت ذلك تنهد .. ولكن كانت تنفيسة تدل علي الرضي والفوز .. فقد تهللت اساريره واول مرة منذ التقينا اري ابتسامة قد خطت علي وجهه .. مع انها لم**

**تمحوا تلك المسحة من الحزن .. ووقف واخذ الكوب وذهب الي النار وسكب به الشاي واحضره الي .. كان كمن رمي حملا ثقيلا عن كاهله ..**

- **ولكن لم تقل لي كيف اساعدك**
- **هذا ما سأحدثك عنه .. مادمت اقسمت لي علي ذلك سأوضح لك الامر .. اسمع .. نحن عشيرة من الجن ..**
- **( سبقتني ضحكه ) عشيرة من الجن**
- **نعم .. لماذا تضحك .. كان الاولي بك ان تخاف ..**
- **لو كنتم من الجن فكيف تطلب مساعدة انسيا مثلي .. ما حاجتكم بي وانتم اسرع واقوي من البشر..**
- **نعم نحن كذلك ولكن كما قلت لك هو محصن منا .. لديه رقيه يرتديها ولا يخلعها ابدا .. ونحن لانستطيع ان نقترب منه مادام يضع هذه التعويذه .. لو اقتربنا منه لاحترقنا ..**

**كما يقولون يا هارب من الغوله .. او كالمستجير من الرمضاء بالنار .. يبدو ان الحظ العاثر يتبعني .. وانا من ظننت انني وقعت علي كنز وضحكت لي الحياه .. جن .. انا مع الجن في عقر دارهم .. يا الله .. يا الله .. ما العمل الان .. وكيف اتخلص من هذه الورطة التي اوقعت نفسي فيها .. هل اهرب .. الي اين في هذه الصحراء**

وهذا الليل .. وهل سيتركني اهرب بكل سهوله .. يا الله ما العمل .. كان هذا ما يجول بخاطري عندما قاطعني قائلا ؟

- ليس مطلوب منك شئ الا ان تنزع تلك التعويذه
- وكيف انزعها .. ومن هو .. واين .. و
- لا عليك .. نم الليله وغدا صباحا اعطيك التفاصيل كيف تجده واين وكيف تنزعها .. وماذا تفعل بعده
- مادمت تعرف كل ذلك لما لاتفعلها انت
- قلت لك لو اقتربت منه لاحترقت .. وثق انه عندما تنهي ما نتفق عليه لك اجرا لم تحلم به ابدا .. اطلب ما تشتهي من الذهب والمجوهرات .. ستصبح اغني انسان في هذه الدنيا .. الان نم واسترح فامامك سفر طويل ..
- سفر .. الي اين .؟
- قلت لك ساعلمك غدا
- اي غد .. اي غد .. ومن يستطيع ان ينام .. انا لن ابيت معك .. انا..
- لا تخف لن يؤذيك احد

وطال الجدال بيننا .. الغريب في الامر انه كان واسع الصدر صبر علي كل اسئلتي .. رغم الحاحي وعنادي .. وكان بين الحين والاخر يذكرني بقسمي الذي اقسمته في غفلة مني .. ويمنيني بالمكافأه .. وانا كل ما افكر فيه كيف اخرج من مصيبتي هذه .. وكيف اتخلص منه .. وفي النهاية

**بعد ان وجدني مصرا علي عدم المبيت عنده .. بداء يشرح لي ماذا افعل**

- **اسمع سأعطيك فرسا تذهب بها الي المدينه .. ستجد في حي الزرقه جزارا ستتوقف عنده وتلقي عليه السلام .. وتعرفه انك غريب عن البلاد .. سيقوم هو باستضافتك في بيته .. في الليل وهو نائم ستجد تلك التميمه معلقه علي ذراعه ما عليك الا ان تنزعها**
- **فقط .. لا اكثر ولا اقل**
- **نعم فقط .. وتعود ادراجك الي نفس المكان الذي التقيناه به الليله لتاخذ المكافأه**
- **ولكن ان لم يضيفني في بيته**
- **لا سيضيفك .. فهو مشهود له بالكرم والجود**

**وقفت .. ونسيت النوم فقد طار من عيني كما طار الشبع ، وكدت ان اسقط ارضا من كثرة السؤال والجواب والخوف والرعب المحيط بي .. وخوفي منه .. ومن ما سافعله بذاك الرجل .. ووقف هو وخرجنا من البيت لاجد تلك الفرس البيضاء التي تكاد تشع نورا .. مسرجه ..**

- **هذه ركوبتك .. اركب**

**ركبت الفرس .. والخوف ترتعد منه اوصالي .. وقد كان ممسكا بلجامها واقترب منها وكأنه يهمس اليها**

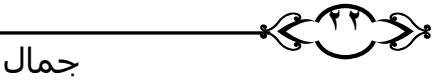

.. بكل تاكيد هي فرس من الجان .. ولكن ماذا لو ركبتها وطرت بها ولم اعد .. ماذا في ذلك ،، ولكن يالي خيبة الامل لم اسعد حتي في خيالي بيني وبين نفسي في ان اتخلص مما انا فيه .. وكأنه قراء افكاري ..

- للعلم .. لا تفكر بالهرب او اخلاف ما اتفقنا عليه .. عليك ان تفي بقسمك لي .. فقد اطلعت علي سري .. تعرف انك لاتستطيع الهرب مني واني ساجدك ولو في عنان السماء .. هذا ليس تهديدا انما هو للتذكير فقط .

لا .. ليس تهديدا .. ان لم يكن هذا ليس تهديدا فماذا يكون .. كان يقول عباراته بكل ثقه .. رغم الابتسامة التي يحاول ان يرسمها علي شفتيه التي بالكاد تتحرك وهو يتحدث .. فقد كان كأنه يكتم عباراته من ان تخرج منه بدون اذن .. طبطبت علي رقبة الفرس .. لوية عنانها ..وانطلقت .. كانت تتهادي تحتي .. بل اكاد اجزم انها كانت تطير .. فبالكاد كانت تلامس حوافرها الارض .. وكلما ابتعدت احسست براحة اكثر .. فقد تخلصت من رفقة يعلم الله وحده كيف كانت تكون .

**الصحراء في الليل ساحره .. بكل تأكيد ساحره .. صفائها .. نسماتها .. ضيائها المشتق من السماء .. حبيبات رملها كأنها الذهب تعكس ضوء النجوم والقمر .. اخذت نفسا عميقا وزفرته .. لعلي اخرج مابي من هلع وخوف .. ياالله .. هل ما مر بي حقيقه ام اني لازلت احلم .. ولكن ها انا امتطي فرسا تسابق الوقت .. هل هي ايضا حلم من احلامي التي سببتها المجاعه .. ولكنني اشعر بالتخمه من كثرت ما اكلت .. قد يكون شبعي ايضا حلما .. فكم مضي علي من الزمن ولم اشبع .. كانت هي بعض لقيمات اسكت بها جوعي .. كيف السبيل الي معرفة ذالك .. كيف السبيل للاستيقاض من الحلم ان كنت احلم .. ولكن لا انا لا احلم .. هي حقيقه .. هاهي السماء وهاهي رمال الصحراء والقمر والنجوم .. بل هاهي الفرس تنهب الارض نهبا تحتي .. ها انا اتلمس وجهي .. ذراعي .. ها انا اضع يدي واتلمس صهوتها .. يا الله .. لا ليس حلما بل حقيقة .**

**التفت خلفي لاري ذاك النجع الذي كنت به حقيقة ام حلما .. اين ذهب .. شددت رسن الفرس حتي توقفت ودرت بها .. اين ذهب ذاك النجع .. وتلك البيوت .. وكيف انطفاءت النار واختفت .. ياالله ما الذي يحدث ؟؟ هل في هذه البرهة من الزمن ابتعدت عنه حتي اختفي .. لم ابرح مكاني الا منذ لحظات .. هل كان هناك فعلا نجع وبيوت ؟؟ ولكنني لم اسمع احدا .. ولم اري احدا الا صاحبي ذاك .. فهل .. ؟؟**

**لا ليس حلما فها هي الفرس تقلني وتأتمر بأمري .. اذا الي اين ذهب كل ذالك ؟؟**

**تركت العنان للفرس فدارت من تلقاء نفسها وانطلقت وانا توقف التفكير وانطفأت شعلة التسائلات .. فما عاد يفيدني ذلك بل كان يسبب لي الالم .. وركنت الي قناعه واحده ان كان حلما سأستيقض منه وتنتهي الحكايه وان كان واقعا فهي اذا طريق كتبت علي .. وعلي ان امشيها .. ويبدو ان الفرس تعرف الطريق فقد كانت تنهب الارض في خط هي تعرفه .. وتركت لها زمام القياده .. فبكل تاكيد هي مأموره .. واخذت اتأمل في ذاك الجمال الرباني .. وقد بدأت تباشير الفجر تلوح في الافق .. ونجمة الصباح تنبئ بقدومه .. وبدأت تلك الاشعة الربانيه تنبعث من الشرق من خلفي .. معلنة عن بداية يوم جديد .. كتب علي ان امشيه .. مسيرا فيه لا مخير .**

**لا ادري كيف مر الوقت بتلك السرعه .. فلم يمضي علي وقت كبير .. بين غفوتي ولقائي به .. وعشائي ورحيلي .. الزمن ليس هو الزمن .. كأن يد تحركه بسرعة تفوق سرعة البرق .. اذا .. آآآآه .. يا الله .. يا الله .. انا احلم .. فلا يسير الزمن بهذه السرعة الا في الاحلام .. ولكن كيف احلم وها انا بدأت اري ضوء النهار .. هاهو الصبح يتنفس وانا اراه .. وهاهي الفرس مستمرة في نهب الطريق نهبا .. وها هو العرق يتصبب مني .. ويكاد يبلل ظهرها ..**

**ماذا يحدث .. رضائك يا امي وابي .. اين دعواتكم لي .. ام انتم غاصبون مني وعلي .**

# النجع :

قليلون هم من كانوا يعيشون في بيوت الشعر .. فبسبب المجاعه وانتشار قطاع الطرق والسطو.. وانتشار الغوله .. حيث تحول بعضهم الي غول من شدة الجوع واستمرؤا اكل بني جنسهم من البشر .. فكان البعض يسكن مايسمي المعلقات .. وهي كهوف نحتت في اعلي الجبال منها من نحتها الاجداد ومنها ما نحتته الطبيعه علي مر الزمن ، يتم الصعود اليها بسلم مصنوع من الحبال .. يرفع السلم دائما ولا يترك مدلي .. ولكن بعضهم لازال يقطن البيوت .. لاسباب عده منهم من بلغ بهم العمر مراحل لم يعد معها يستطيع الصعود والنزول .. ومنهم من لم يجد كهفا يقطنه .. ولذلك كانوا يشكلون مجموعات متقاربه هي اقرب الي النجوع .. ولم يكن بالضرورة ان تربطهم اواصر الدم او القرابه .. يكفي ان الخوف من المجهول قد وحدهم .. لان خوفهم واحد .. وعدوهم واحد هو الخوف الذي يرسل لهم بين الحين والاخر مجموعة تحاول ان تسلبهم ما بقي لديهم من حياة رغم شدتها .

كانت قد استيقظت مبكرا .. كعادتها دائما .. تستيقض قبل الفجر لتحاول ان تعد لزوجها وابنتيها ما

استطاعت ان تجمعه هي وهو طيلة النهار .. لتعد لهم افطار يبلون به ريقهم .. هاهي جمعت الحطب وايقضت بقايا النار الساكنه تحت الرماد .. لتوقد بها نار يوم جديد .. وهاهي تحركها بذاك المشجاب من غصن الزيتونه التي لم تستطع ان تقاوم الجفاف فاصبحت حطبا لهم .. ما اعظمها من شجره .. في اوج نظرتها كانوا يستظلون بظلها ويجنون حبيباتها اما للتخليل او الي المعصره لتنتج ذالك الزيت المبارك .. وليكون ما بقي بعد العصر علفا لماشيتهم .. وكانت اغصانها تحمل عنهم الاعباء .. فعليهن مرجيحة الابناء .. وفي جذعها تربط الدابه .. وهاهي بعد ان جفت ونضبت منها الحياه تعطيهم اغصانها عن طيب خاطر لتكون حطبا لنارهم .. اسندت ظهرها المحدودب قليلا من احمال الزمان الي ذلك الجذع .. وانطلقت منها تلك التنهيده المحرقه رغم بساطتها .. فقد تذكرت ابنها الذي رحل عنهم لا تدري الي اين .. وهل سيرجع ام لن يعود .. كانت هي وابوه يعدانه للزمن حتي يعينهما عليه في كبرهما .. ويكون عونا وسترا لاخواته .. ولكن كلنا نريد والله يفعل مايريد .. لعله سيعود قريبا .. لا نريد منه شيئا الا ان يكون بخير .. يااارب .. سهل عليه طريقه واستره بسترك .. وابعد عنه اولاد الحرام .. يارب .

لم تنتبه الي مريم وهي تقترب منها متثاقله تجر اقدامها جرا .. فقد بدا عليها الضعف والهزال بسبب

الجوع وقلة الزاد .. وعدم نومها وندبها لحظها ان فارقها من كانت تامل نفسها ان تعيش في كنفه .. وتبني بيتا مستقلا لهما .. يزدان بهما وبما يأتيهما من اطفال يمرحون ويلعبون في هذا الخلاء .. لم تنتبه لها فقد كانت هي ايضا لم تنم الليل بسبب انشغالها علي ابنها .. وتفكيرها فيما قد يحدث له لو التقي بقطاع طرق .. او اصطاده احد الغيلان .. اقتربت منها والقت ببقايا جسدها النحيل علي الارض بجانبها بعد ان القت التحيه .. لتنتبه وترسل ابتسامة شاحبه .. فرؤيتها لمريم كانت تزيد حزنها .. فقد كانت تذكرها به .. وكم كانت هي ايضا تتمني ان تراه عريسا .. وتري احفادها يلعبون حولها .. لتحملهم علي ظهرها ..

- الم يصلكم خبرا عنه
- لا يا ابنتي .. لا علم ولاخبر ..

اسندت مريم هي ايضا ظهرها لجذع تلك الزيتونه التي تحمل حتي همومهم واعبائهم .. وكانت هي الملاذ لهم في كل وقت .. اسندت ظهرها ونظرت الي السماء .. فقد بدأت الشمس ترتفع لتتوسط كبد السماء .. واليوم ايضا السماء صافيه لاتنبئ عن شئ .. حتي الطيور غابت عن التحليق .. واخذتها زرقة السماء الي ذلك الغدير التي كانت مياهه الرقراقه بلون السماء .. وصفائها من صفائه .. واصغت السمع كأنها تسمع انسياب الماء من العين الحلوه

**الي ذاك الغدير .. آآآآآآه .. زفرت تلك الزفرة الاليمه التي لايوجد غيرها في ذاك الزمان .**

**الغدير ملعب الطفوله ومرتع الصبي .. كم لعبنا فيه .. هاهي تحمل القربه وتتجه الي الغدير ..وجدائل شعرها تتلاعب بها النسمات .. هاهي تقترب من الغدير .. يا الله .. هاهو ممشوق القامه يقف بجانب الغدير يسقي فرسه .. تقترب وقد زينة حمرة الخجل وجنتيها فزادتهم جمالا علي جمالها .. لتقترب علي استحياء .. لتلقي السلام والتحيه علي صاحب الطلعه البهيه .. فقد كان فارس احلامها .. ونبض قلبها ومالك عقلها .. ليرد عليها باعذب الاشعار .. ويقترب منها ليأخذ القربه منها .. فقد تعود ان يملائها هو بالماء .. لتجلس هي علي حافة الغدير تلاعب مياهه باصابعها .. ويدور ذاك الحوار الذي كأنه اصوات الملائكه .. فكله حب وشوق وحنين رغم القرب في المجلس .. هاهي القربة قد اتملائة .. وهاهي تمد يديها لتلامس يديه الممسكة بها .**

**- بنت يا مريم الا تسمعين ..**

**كانت كالسيف الملتهب .. فقد قطعت كلمات العجوز الجالسه بجانبها ذاك الحلم الوردي الذي هو زادها الذي تعيش به ..**

**- نعم يا عمتي .. ماذا هناك**

ردت عليها وكأنها تقول لها ليسامحك الله علي فعلتك هذه .. لماذا ارجعتني من الجنة الي هذا القحط والجفاف والالم .. لماذا ؟ اخوفا من ان اتركك وحدك في هذا ؟.. ام ماذا ؟ الا يحق لي ان احلم .. حتي بعد ان فقدت الامل في الواقع ؟.. لماذا يا عمتي .. وما هو ذاك الشئ المستعجل والملح لتوقضيني من اجله .

- امك تناديك .. الا تسمعين ..؟

وقفت وهي تغالب نفسها فقد بلغ بها الاعياء مبلغه .. وذهبت وهي تجر الخيبة واثقالها فلم تسمع اي خبر يرطب من جفاف حلمها .. فقد ذهب ولن يعود .. لماذا يا ارحيم تركتني ؟.. الم يكن في مقدورك الانتظار حتي يلتأم شملنا ونرحل معا ؟.. ام هل وجدت لك وليفا غيري شددت الرحال اليه .. آآآآآآآه ثم آآآآآآه .. اليس من كلمة تتركها لي .. كيف طاوعك قلبك وعقلك ان ترحل قبل ان تودعني .

كانت والدتها تقف امام البيت .. تنظر الي ابنتها وقرة عينها وهي تذوي امامها وليس بيدها شئ تفعله لها .. فقد تكالبة عليها آفات الزمان تنهشها رغم سني ربيعها التي لم تكتمل بعد .. حاولت ان تصنع ابتسامة لتستقبلها بها وتمسك بها قبل ان تقع اعياءا .

- تعالي يا ابنتي .. كلي مع ابيك واخوتك .. فانت لم يدخل جوفك شئ منذ امس.. تعالي .. والدك ينتظرك ..

في تلك اللحظه كانت والدة ارحيم تتبعها بنظرات حانيه مشفقه .. وهي تري من كانت تأمل ان تكون عروس ابنها تذوي امامها ولاتستطيع ان تفعل شئ .. مع اقتراب والده منها .. لتلفت اليه .. وبكل حسره

- الله يسامحك فرقت بينهم .. الله يسامحك
- ماذا تقولين .. انا .. انا من فرق بينهم ام الزمن
- لا انت .. فقد رفضت ان يتقدم لها او يخطبها
- يا امراءه .. ماذا تخرفين .. الا ترين ما نحن فيه .. بالكاد نستطيع ان نطعم انفسنا .. فهل نزيدها فم آخر

لم يكن والده يرفض زواجه بمريم لاي سبب .. ولكن كان رفضه لعدم قدرته علي الانفاق علي ابنائه بسبب الجفاف والقحط .. فكيف يزيد من معاناتهم .. لم يكن احب اليه هو ايضا من ان يري احفاده .. ويراهم رجال يعينونه ووالدهم علي تقلبات الزمان .. ولكن كيف وما ياتي به يكاد يسد رمقهم .. بل يبيت معظم الليالي جائعا حتي لايأكل ويحرم ابنائه .. فقد كان يترك لهم نصيبه ويمضغ الهواء ليوهمهم بانه يأكل معهم .. يا الله .. ملعون ذاك القحط الذي يفرق بين المحبين .

# الطريق :

ـــــــ هاهو الليل قد بداء يرخي سدوله .. وهاهو يسير لوحده في هذا الطريق الموحش .. مسلما قياده ونفسه لفرس مأموره .. او مقاده حتي هي مثله .. فلولا تحذيره وخوفه لكان لزم تلك القافله التي التقي بها علي الطريق .. ولكان مؤنسا له رفقة الرجال .. ولكن ماذا يقول ؟.. فقد انقطع القول والحديث الا مع نفسه .. هاهو ينظر لعله يجد مكانا يبيت فيه ليلته .. فلا يدري هل مازال الطريق بعيدا ام اقترب من مبتغاه .. لا .. ليس مبتغاي .. فقد اجبرت عليه وقهرت .. وآآآآه من قهر الرجال .. لو كان رجلا لعرف كيف يغالبه .. ولكن هذا .. اعوذ بالله من شر الشيطان الرجيم .. اللهم اجعل كلامنا خفيفا عليهم .. وترأت له من بعيد صخرة .. اتجه اليها ستكون هي مكان مبيته لهذه الليله .. تقيه ويجعلها ساترا للرياح وللرمال التي تحملها من الصحراء .. اوقف الفرس وترجل من عليها واخذ المخلاه التي تحمل زاده ومائه وتركها .. وضع حمله علي الارض .. وارتمي هو بجانبه كمن يحاول ان يتخلص من حمل يثقل ظهره .. ولكن هيهات .. هيهات .. الله وحده يعلم الي اين المنتهي .

هاهو الظلام حل بالمكان .. وحيدا يجلس مفترشا الارض وقد اسند ظهره لتلك الصخره بعد اكل ما قسم الله له من زاد والحقه ببعض الماء .. اسند ظهره ورفع رأسه للسماء .. فقد كانت صافيه .. لكنها ليست كتلك السماء التي تنظر اليها مريم .. ليست كسمائهم .. نعم الصفاء هو الصفاء والنجوم هي النجوم ولكن ليس البدر كالبدر .. فقد كان يملك بدرا ابهي واروع وانصع .. وجه مريم عندما تتراقص عليه تلك الخصلات من الشعر الذي سواده ابهي من سواد الليل .. تتراقص علي وجهها ليصبح كأنه البدر تحاول بعض السحب المثقله حجبه عن ناظريه .. ليزيحها بيده ليشرق البدر من جديد .. ليري ابتسامة ثغرها .. ولتريح عينيه تلك اللاءلاء المصفوفه .. تعكس ضياء ينير القلب ويبعث فيه ذلك الدفء الرباني .. آآآآآه .. ملعون ذالك الجفاف والقحط الذي فرق بينهما .. ولكن صبرا يا مريم صبرا .. فلن يطول ترحالي ساعود اليك محملا بالذهب والفضة لالظم لك عقدا يزين جيدك .. آآآه متي تنتهي هذه الرحله واعود .. ولكن .. هل سيصدق في وعده ام يخلفه .. كان من واجبي ان اجعله يقسم هو ايضا علي الوفاء بوعده .. فقد جعلني اقسم .. فلماذا لم يقسم هو ايضا لماذا ؟.. يالي من مغفل .. كيف لم انتبه لذلك .. كيف ؟.. ولكن هل كان ليقسم لو طلبت منه ؟.. هل كان سيستجيب لطلبي ؟.. نعم كان ليستجيب فهو من في حاجة الي ولست انا .. اذا لماذا ؟.. بالله عليك اسكت ونم .. وهل كنت تستطيع .. كنت

ترتجف رعبا وخوفا .. غلبك حتي الكلام .. فما بالك ان تطلب منه ان يقسم .. نم وغدا تواصل المسير .. وادعوا الله في نومك ان تنتهي هذه الرحلة قريبا لتعود الي اهلك وتعود الي مريم .. مريم .. هل تنظرين الي البدر ام انك قد اخذت علي خاطرك مني اني لم اودعك .. انت تعرفين لا اطيق لحظات الوداع .. لم استطع ان ابلغك حتي لاتثنيني عن طريقي .. ولكن ياليتني ابلغتك .. وياليتك منعتني من الرحيل .. لكنت الان بينكم .. انام في حجر امي .. واراك كل صباح .. اااااااه .. اين اراك فقد جف الغدير .. وماعاد هناك من مكان نلعب ونرتع به .. فالموت يلف المكان .. هل تعرفين هه هل تعرفين لماذا رفض ابي زواجنا ؟.. طبعا لم ابلغك .. فقد كان ابي اكثر حكمه.. رفض ليس لانه لايريدك .. او لايريد مصاهرة ابيك .. بل علي العكس فعندما سألته ان يخطبك قال:

- نعم من اخترت .. ونعم الصهر ابيها .. ولكن يابني الا تري حالنا .. نحن خمسة افواه .. بالكاد نستطيع اسكات جوعها .. بل في بعض الليالي والايام ننام جوعي .. فهل تظلمها معنا .. ام تريد ان تصبح ككثيرين يعجزون عن اطعام اهلهم .. اعرف ان ابيها سيوافق ويطلب ان تزفها اليوم قبل الغد .. فلن يجد افضل منك .. ولكن سيكون سعيدا اكثر لانك ستخلصه من فم يشاركه بعض ما يجهد نفسه ليجلبه

طوال النهار وبالكاد يحصل علي شئ منه .. بني كن عاقلا .. عندما يصلح الله الحال وتنزل الامطار.. وياتي موسم الحصاد ..عندها فقط ستكون قادرا علي بناء بيت .. وستحمل مهرها .

هل عرفت كم يعزك ابي .. وكم فرح باني اخترتك .. ولكن لايريد لك التعب والنصب والجوع معنا .. وهذا كان دافعي للرحيل .. لارجع لك محمل بما استطيع ان اقيم به بيتا يسعك ويسع ابناءنا .. ويقيهم شر الجوع والعطش .

.....

لم ينتبه لنفسه الا وصوت صهيل الفرس يوقضه .. فقد بدأت الشمس في الشروق .. انتبه لنفسه ولم يدري اكان يحدث نفسه فعلا ام انه كان يحلم .. تمطي .. واخرج قربة الماء غسل وجهه وشرب منها القليل ثم اعادها للخرج .. واخرج كسرة من الخبز .. ووقف ووضع الخرج علي الفرس وقفز عليه .. وانطلقت به بينما كان يلوك تلك القطعة من الخبز .

اخذت الفرس تسابق الريح وهي تنهب الطريق نهبا .. واخذت الشمس في الارتفاع الي كبد السماء .. وبداء يشعر بلسعات حرارتها .. فاخرج القرب وسكب

علي رأسه قليلا من الماء .. وارجعها .. وبدأت الفرس تصهل وهي تسابق الريح .. وبين الفينة والاخري تشب الي الاعلي .. ما الذي يحدث .. نظر الي البعيد .. ترأت له كأنها واحه من النخيل .. هل وصلنا .. هل هذه هي مبتغاي ونهاية رحلتي .. وبدأت تتضح رويدا رويدا .. هاهي المباني تظهر له واضحه .. لكن الوقت مبكرا للدخول اليها .. فقد اوصاني بالدخول بعد العصر حتي يكون هناك سببا لاستضافتي في بيته ليلا.. آآه وشد لجام الفرس لتخفف من سرعتها .. واستجابت وبدأت تتهادي بخطواتها كأنها ترقص علي انغام الدف والمزمار .. فتذكر تلك الافراح التي كانت تقام بالنجع .. وكيف كانت سباقات الخيل .. وكيف كانوا يتجمعون في الليل في وسط النجع ليحييوا تلك الليالي بالكشك .. وكيف كان عازف المزمار يرسل اعذب الالحان .. وكيف كان اللافي عبدالجواد القادم من مصر يرقص فرسه علي انغام ذلك المزمار .. آآآه يالها من ايام .. متي يلتئم شملهم من جديد وتنزاح الهموم .. ويسقط الغيث ويتجمع افراد النجع من شباب وصبايا وعجائز لتطلق الزغاريد وتقام الافراح بزفافه علي مريم .. متي ؟؟.. هل هو قريب كقربي من هذه المدينه .. ام هو سراب كسراب الصحراء التي تركتها ورائي .

هز رأسه كثيرا ليطرد ما يدور بخلده .. وان يتفرغ للتفكير كيف سيقابل ذالك الرجل .. وما يطلب منه ..

وكيف يستطيع ان يتحين الفرصه لينزع تلك الرقيه .. لم يصل الي خطة بعينها فقرر ان يترك الامر لصاحب الامر .. وان يرتجل في حينها .

اخذت الشمس في الذهاب الي مستقرها .. حيث اصبحت تواجهه .. وهو يقترب من مدخل المدينه .. يالله .. راي الزرع .. ورأي الاغنام ترعي .. وليس للجفاف مكان عندهم .. صدق من سماها الخضراء .. الاشجار بأوراقها والنخيل باسقات بعراجينها المحملة بالرطب .. ورائحة الازهار تفوح .. تحملها تلك النسمه .. نسمة العشيه لتلفح وجهه كأنها تحييه وتستقبله .. يالله .. اين انتم يا ابي وامي واخواتي .. اين انت يا مريم .. لو كنت اعلم لاخذتكم معي الي هنا .. فهنا لاجوع ولا عطش .. هنا لاجفاف ولا خوف من الجفاف .. يا الله .. ما اعظم قدرتك .. نعم عندما اكمل ما اتيت من اجله .. ساعود الي نجعنا ..واحمل امي وابي واخوتي.. ونأتي الي هنا .. نعم .. بل ساحمل معي كل اهلي .. كل اهل النجع .. ساطلب من ذاك الجني ان يعد لي قافلة من الجمال .. ساذهب بها للنجع .. ساحملهم علي اكف الراحه حتي ادخل بهم هنا .. نعم .. ستعود العافيه والصحه اليهم جميعا .. وستعود الحمرة لوجنتي مريم .. وسيعود بريق عينيها يضئ لي الدنيا .. واسمع ضحكتها داخل حنايا قلبي .. حيث سيعيش ابناءنا هنا .. لاجوع ولا عطش ولاخوف من الغيلان ولا غدر الزمان .. يالله .. ما اعظمك

وما ارحمك .. سبحانك .. سخرت لي هذا الجني لكي اري هذا .. وكأن القدر يقول لي هذا مكانك .. عد واحملهم الي هنا .. وانتبه انه كان قد وصل الي مدخل المدينه .. وتذكر الوصف الذي وصفه له ذاك الجني .. وكيف يصل للرجل المطلوب من بين كل الرجال .. ترجل عن فرسه .. وامسك بالرسن وتقدم وهي تتبعه .. وبدأت الحياه .. هاهم بعض المزارعين توقفوا عن العمل ليتتبعوه بنظراتهم.. هل عرفوا انه غريب ام ماذا ؟ ام انهم كانوا ينظرون الي الفرس .. ولكنه لم يتوقف ولم يعيرهم انتباهه .. واستمر هاهم الناس تغدوا وتروح .. وكل من يمر عليه يتوقف ليتتبعه بنظره .. هل مكتوب علي جبهتي اني غريب عن هذه البلده .. ام ان حالاتي ووعثاء السفر هي من تدلهم علي ذلك ؟.. واستمر في المسير .. هاهو الميدان امامه .. وهاهو يقترب منه .. ويقترب .. هاهو يبحث عن ضالته .. اين .. اين .. هاهو .. هاهو محل الجزاره الذي وصفه لي.. هاهي حدوة الحصان تتوسط اعلي الباب بين كتابه ..نظر الي الكلمات المكتوبه .. لم ينتبه الا الان انه لايعرف الكتابه والقراءه .. فلم يكن بحاجة اليها في نجعهم .. ولم يكن بنجعهم فقي كما كان في المدينة المجاوره لنجعهم .. عندما كان يذهب هو وابيه فيما مضي من زمن الي المدينه .. كان ابيه بعد ان يبيع ما كان يحمل في سوقها ويشتري ما نحتاج اليه .. كان من العاده ان يزور الفقي في كتابه .. وكنا في بعض الاوقات عندما نزوره نجد الصبيان لازالوا بالكتاب .. فكان يراهم ويسمعهم

.. يراهم وهم يكتبون علي لوح من خشب بتلك الاداه التي يسمونها قلما .. وكان يرددون خلف الفقي ما يرتله من ايات القرآن .. وفي بعض الاحيان كان يعلمهم الحروف :

اليف لا شئ عليه .. الباء نقطه من تحت .. وهكذا كان يصدح الصبيان خلفه بصوتهم العالي الذي لازال يتذكره .. وهاهو يرن في اذنيه كأنه يسمعهم الان .. وكم تمني علي والده ان يتركه ليتعلم مثلهم .. ولكن كان يعرف ان لكل صيغة من صيغ الحياة متطلبات .. وحياته في النجع لم تكن من متطلباتها ان يتعلم كيف يقراء وكيف يكتب .

هاهو قد وصل الي ذلك المحل .. اقترب وقف امامه .. هاهي بعض اطراف الشاه معلقة علي بابه يلفها ذالك القماش من الشاش الابيض.. كما كان يراه في المدينه .. وكان يقف وراء دكة الدكان رجل في مقتبل العمر .. يبدو انه لم يتجاوز الاربعين من العمر .. يبدو عليه وفرة الصحه وعنفوان الشباب .. كان يرتدي ذاك القميص الابيض الطويل .. ويضع علي رأسه تلك القبعه السوداء تتدلي منها تلك الشنواره .. يزين وجهه شاربين عريضين يقف عليهما الصقر كما يقولون .. بيده ذلك الساطور وهو يقطع اللحم ويضعه علي الميزان الذي امامه ويناوله لذاك الصبي الواقف بيني وبينه .. ليذهب الصبي مسرعا دون ان يلوي علي شئ حتي انه لم يشكره .. تتبعت بنظراتي الصبي وهو يجري .. ثم التفت الي صاحبنا رأيته يتاملني .. وضع

**الساطور .. وخرج من خلف الدكه ووقف امامي وجها لوجه .. وهوينقل نظراته بيني وبين الفرس .. ارتسمت علي ثغره ابتسامه .. هل اكتشف الامر ؟.. هل عرف ان الفرس هي من خيول الجان ؟.. هل وهل وهل ؟.. وطالت فترة الصمت وهو مستمر في نشر ابتسامته .. وتنقل نظراته بيني وبين الفرس .**

*****

## قلب الام :

ـــــــــ نظر اليها مليا وسالها .. مابك ؟.. فقد وضعت يدها فجاءه علي قلبها وبان الالم علي محايا وجهها كان شيئا طعنها بقوه .. كانت تعد قليه قلعز .. كانت تضع تلك الحبيبات في ذالك الصحن لتقوم بتسويتها علي النار .. وفجاءة وضعت يدها علي قلبها تاركة ذاك الصحن ..

- احس بقلبي مقبوض وكأن شيئا نخسني فيه .. اللهم اجعله خيرا
- انتبهي للقليه فقد تحرقها النار
- اقول لك قلبي يحرقني.. وانت همك علي ما في الصحن .. انتم ايها الرجال قلوبكم قدت من حجر ..
- قد تكون كل قلوب الرجال قدت من حجر .. الا قلبي انا .. يكفي انه يحملك بداخله طوال هذه السنين .. والسنين القادمه
- اس .. البنات .. قد يسمعنك ..

قالتها وقد انبعثت ابتسامة علي ثغرها .. لترسم تلك الخطوط التي رسمتها السنين علي خدودها .. ولنري بعضا من فراغ لاسنان كانت موجوده .. وهمت بمواصلة الحديث لولا ان الالم ازداد عليها فضغطت بيدها

بقوة اكثر هذه المره علي صدرها وكأنها تريد ان تقبض علي ذلك النابض بداخلها .. اقترب اكثر منها .. ونظر اليها مليا بعد ان ازال الصحن من علي النار .. كان الخوف قد ارتسم علي وجهه .. ليس الخوف من ا لمرض .. او الالم .. ولكنه الخوف من ان يفقدها .. فهي رفيقة دربه من بدايته .. فمنذ ان كانوا اطفالا صغار يلعبون في الوديان والشعاب المحيطه بالنجع .. وعند غدير الماء عندما كانوا شباب .. ورافقته هذه السنين الطويله منذ اصبحت زوجته .. لم يسمع منها كلمة تكدره او تصرف يضايقه .. بل كانت دائما البلسم الذي يداوي به جروح الايام .. والمرهم لكل تقلبات الزمن ..

- كنك .. مابك
- قلبي مقبوض .. اكيد ان ارحيم قد وقع في مشكله .. ارحيم ..

هم بان يرد عليها .. ليعلمها ان ابنه الان رجلا لايخاف عليه .. وان الصعاب والمحن هي التي تصنع الرجال .. ولكن في تلك اللحظه سمع صوتا من خارج البيت ينادي

- عمتي زينب .. عمتي زينب
- من ينادي
- انا جفول بنت امراجع .. تقول لك امي تعالي .. اسرعي .. مريم مريضة جدا

في تلك اللحظه نست كل الامها .. وقفزت واقفه كانها الصبيه الصغيره .. والتفتت تبحث عن غطاء رأسها .. سحبته ووضعته علي رأسها .. وانطلقت .. والتفتت اليه

- انتبه للقليه لتحترق

تابعها بنظراته حتي غابة عنه .. وعادت الابتسامه اليه .. فطبعا مريم بالنسبة لها هي من ريح اغلي الناس ابنها ارحيم .. عندما ذكرت نسيت كل الالم وعادت صبيه كما اعرفها .. لله در النساء كم هن رائعات .

كانت مريم مسجاه علي فراش في خدر البيت .. وقد علت الصفرة وجهها .. وانفاسه بالكاد تسمع .. كانت وكأنها في رمقها الاخير .. اقتربت منها واحتضنتها ورفعت رأسها ووضعته في حجرها ..ووضعة يدها علي جبهتا وصرخت ..

- يا الله .. الحمي .. انها ملتهبه كالجمر .. اسرعي يا جفول الي بيتنا واحضري لي زجاجة زيت الزيتون .. وقولي لهم يبحثون ان كان هناك بعض الخل فيرسلونه لنا ..

انطلقت جفول مسرعه .. وعادت هي اليها .. تمسد شعرها .. وتقبل وجنتيها .. وقد بدأت دموعها تتساقط علي خدي مريم .. وقلبها يكاد ينفطر .. حنانيك يا الله .. الا تكفي قسوة الجفاف والجوع حتي يعتصرها الفراق .. يا الهي .. واخذت

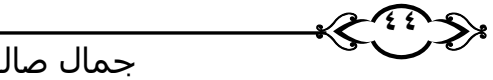

**تدعوا الله بكل ما تحفظ من دعوات ولم تترك وليا الا واستنجدت به .. ولا اسما مباركا تتذكره الا وصدحة به .**

**اندفعت جفول وانفاسها تكاد تنقطع حاملة في يدها تلك الزجاجه الصغيره التي تحتوي علي بقايا قطرات من زيت الزيتون .. كانت قد اسرته لنوائب الزمن .. اخذت الزجاجه فتحتها سكبت منها بعض القطرات في يدها .. وبدأت تمسح وجه مريم كان يلتهب .. وكان صوت الزيت علي وجهها .. كما تلقي جمرة متقده في بركة ماء .. يا الله الطف بعبدتك ..**

**- قال لك الخل لم اجده ..**

**نطقت بها جفول وهي تحاول ان تبطئ انفاسها المتلاحقه .. وتحلق الجميع علي مريم كأنهم متحلقين علي قصعة .. وساد الصمت .. لو مررت من جانبهم لظننت انهم نايم وهم جلوس .. فقط العيون تتقلب في محاجرها .. وتسكب ذاك الدمع الغالي .. وتتنقل بين مريم وبين زينب التي لازالت مستمره في سكب قطرات من الزيت ومسح راس مريم ورقبتها وصدرها .. ينتظرون .. وبدأت تسري في الحلقة بعض الانات .. اصوات استنشاق لمنع البكاء .**

**لم يستطع امراجع والد مريم الذي كان يجلس في طرف البيت .. ولم يطق صبرا .. لم يعد يحتمل**

هذا المشهد .. هو يجلس عاجزا وابنته تذوي وتموت امامه .. خاف ان تفضحه عيناه وان لا يستطيع كتم عبراته .. فوقف وهو يتمتم .. وخرج الي الخلاء .. بينما في نفس اللحظه انطلقت زفره من بين شفتي مريم .. وكأنها كانت خجله ان تنفثها في وجه ابيها .. حتي لاتزيده هما علي همه .. واخذت انفاسها تنتظم شيئا فشيئا .. لتلتفت اليهم زينب وهي تقول .

- الحمدلله .. كم انت كريم يارب .. هاهي الحرارة بدأت في الانخفاض .. وها هي انفاسها تعود لطبيعتها ..

انطلق امراجع خارجا .. يريد ان يقبع في الخلاء ليبكي نفسه وضعفه .. وقهر الزمان له .. ولكن يبدو ان دموع الرجال غاليه .. فقد وجد والد ارحيم قادما باتجاههم ليطمن علي مريم .. تقابلة نظراتهما .. رأي الدمع يترقرق في مقلتي امراجع علي ضوء القمر .. احتضنه .. هزه .. وكأن هزته كانت المفتاح .. لتفتح سيلا من الدموع في عبرة مكتومه ..

- ابكي .. ابكي .. ليس عيبا ولا عارا ان تبكي .. فالبكاء يجلي القلوب .. ابكي وازح عن صدرك .. وادعي لها ربك ..
- ابكي عجزي وقلت حيلتي .. ابكي خذلاني لها

- لا .. لا .. حاشاك من العجز وقلت الحيله .. هذا حالنا جميعا .. من منا يستطيع قهر تقلبات الدنيا .. ليس عجزا .. بل ابتلاء من رب العالمين .. هيا .. تعال

واخذه من يده .. وذهبا باتجاه البيت ..

.....

استكانت مريم وهدأت انفاسها .. الصمت كان هو المخيم علي المشهد .. تخترقه بعض الاستنشاقات لمنع العبرات ان تهز اركان البيت .. ولازالت زينب تضع رأس مريم في حجرها .. وبين الحين والاخر تقبلها في جبهتها .. وتمسح علي شعرها .. التفت ..

- هيا .. اصنعي لها قليلا من حساء الزعتر .. قفي .. هي بخير .. اصنعيه لها وسنضع عليه بعض قطرات من زيت الزيتون سترطب صدرها وتصبح بعافيه .. هيا قفي .. وانت يا جفول .. ساعدي امك في ايقاد النار .

مسحت جفول الدمع المتساقط علي خديها بكم فستانها .. هذا اذا كان ماتبقي من قطع القماش يسمي

**فستانا .. ووقفت وانطلقت الي مكان الموقد واخذت في تذكية النار ببعض اعواد الحطب .. بينما ذهبت والدتها تبحث في خبايا البيت عن بقايا من طحين الزعتر.**

* * *

# الضيافة

ـــــــ بعد ان تعارفا .. وعلم ان ارحيم غريبا علي البلاد وجاء باحثا عن عمل .. وحكي له ما اصاب بلاده من قحط .. وفناء الاغنام وشح الماء .. اقسم عليه باغلظ الايمان ان يكون ضيفه حتي ييسر الله له ويفتح عليه ابواب رزقه .. وجلسا علي الدكة التي امام الدكان .. واخذتهم الحكايات وروي له التاجر انه في ما مضي مر علي بلادهم عندما كان في رحلة مع قافلة الحجيج الي بيت الله .. ووصف له البلاد وقتها .. انها كانت مليئه بالخيرات وبينابيع الماء .. والسماء كانت حبلي دائما .. والامطار تستمر لشهور .. وان اهل بلده اناس طيبون .. فقد وجد عندهم الكرم وحسن الضيافه وكانوا يفرحون بالحجيج .. ويقومون باستقبالهم بالدفوف والذبائح .. واخذتهم الحكايات .. ولم ينتبها الا وخيوط الليل قادمه لتسدل ستائرها علي يوم اخر .. فها هي الشمس اخذت في المغيب .. وهاهو مؤذن المسجد الذي يتوسط ذاك الميدان يصعد درجة ليؤذن للصلاة .

- هيا بنا .. نصلي وبعدها نذهب الي البيت ..
- هه ..
- هل تريد الوضوء .. هناك مكان للوضوء داخل المسجد

لم يعرف ماذا يفعل وماذا يقول .. فهو لايصلي .. حاول والده كثيرا وهو صغير ان يجعله يداوم عليها ولكن دون فائده .. فهو لايتذكر آخر مرة توضاء وصلي .. ماذا يقول ؟.. ايقول له انه لا يصلي .. ام هل يكابر ويدعي انه يصلي ويذهب للوضؤء .. ولكنه لا يتذكر حتي تراتيبه .. وان رأه لا يحسن الوضؤء ماذا يقول .. يالله .. هل هي حكمتك .. هل هو امتحان لي في دنياي .. لم تطل حيرته فقد ناداه.. بعد ان اخرج من الدكان كرسي ووضعه في مدخل الدكان .. والتفت الي ارحيم الذي كان لازال في حيرته..

- هيا سأدلك علي مكان الوضؤء
- لالا .. لست في حاجة الي الوضؤء .. ولكن االترك فرسي هنا ..
- اتركها لاخوف عليها .. الا اذا كانت من الشاردات ..

وارتفع صوت المؤذن نديا .. يشق عنان السماء .. في صوت شبه ملائكي .. اهتزت له كل اوصاله .. وكأنه يسمعه للمرة الاولي .. ارتعش وانتابه خوف وثقلة رجلاه علي ان تتحرك به .. فهو ذاهب الي مقابلة مولاه .. ماذا يقول وبماذا يعتذر عن هذا الغياب والجفاء .. كيف يستطيع ان يقف بين يديه .. بماذا يتحجج .. بقلة الماء والجفاف ووو .. يا الله .. يا الله .. سترك .

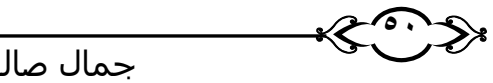

اخذ يجر رجليه خلف صاحبه .. وهو يحاول ان يقلده فيما يتمتم به .. من ترديد لكلمات الاذان .. اتجه الي المسجد .. ودخل باحته .. وهو يكاد يذوب خوفا .. فهاهو يقابل مولاه في بيته .. بيته الذي هجره .. رغم انه مفتوح علي مصرعيه دائما .. ويناديه كل يوم وليلة .. وهاهو رغم ذلك يرتكب المعاصي .. ويسعي اليها سعيا .. فهاهو يدخل عليه بدون وضوء .. خوفا من ان يسخر منه الناس .. وماذا ستقول لرب الناس ؟؟.. تقدم .. هاهو المؤذن يقيم الصلاه .. اصطف معهم في الصفوف كأنه واحدا منهم .. وصار بينهم.. ولم ينتبه احد الي انه لايعرف الصلاه وانه من غير وضوء .. خدعهم جميعا .. ولكن هل يستطيع ان يخدع رب البيت .. يالله غفرانك .. وسترك .. فقد اخذته الرهبه وبداء يناجي ربه .

الهي .. انت اعلم بما في نفسي ..الهي انت جاهي .. الهي عبيدك كثر وانا ليس لي رب سواك .. فاسترني بسترك .. واحفظني .. الهي ارحم واغفر تقصيري وعصياني وقلة حيلتي وجهلي .. الهي ان لم تسترني فمن يسترني غيرك .. يارب السموات والارض .. ورب الجبال والوديان .. اغفر ذنوب عبدك التي تنوء بها الجبال .. فانا ضعيف فقوني .. وفقير فاغنني .. الهي اعلم اني اخطاءة وخفت الناس ولم اخافك .. ولكن وعزتك وجلالك وعظمتك وجبروتك .. طامع في رحمتك .. فانت الغفور الرحيم .. ولكن عبادك ظالمين ..

**نجني منهم واخرجني من بينهم سالما .. لاعود لابي وامي واهلي .. واتوب اليك .. يا الهي .**

**واخذت الدموع تسيل علي خديه .. واصبح صدره يئز كالمرجل .. ومن يراه يذوب هكذا يحسبه من الصالحين .. هي لحظة صدق ومناجاة.. واخذ يركع ويسجد كما يفعلون .. وانتهت الصلاه .. ولكن لم تنته مناجاته لخالقه واخذت العبرات تسيل من مقلتيه .. واطال المناجاه .. ولم يقطعها الا صوت صاحبه ..**

**- ها .. الا نذهب .. كان صاحبه يسأله ..**

**مسح عينيه بطرف كمه .. ووقف متثاقل.. وخرجا من المسجد .. وعاد للدكان ..رفع الكرسي من فتحة الباب وادخله .. حيث كان هو بمثابة الاعلان للقادمين للدكان بان صاحبه لن يطيل الغياب .. فقد كان الامان والشرف والثقه .. والرضي بما قسمه الرحمن لعباده .. هي ميثاق شرف بين الجميع .. فلا احد يسرق او يكذب الكل اخوه واصحاب .. اذا اشتكي احدهم ان الاخر لشكواه .. ادخل الكرسي .. ووضع ذلك القماش الرقيق علي ما تبقي من لحم معلق .. فاللحم لن يصيبه شئ .. لا احد يمسه ولايصاب بالعفن .. فقد كان علفته من حشاش الارض .. ثم خرج وبداء في اقفال دكانه .. وهو استلم رسن الفرس .. وانطلاقا .**

## الرحيل :

ـــــــ كان يجلسان امام البيت .. وقد غابت الشمس منذ قليل .. وبدأت عتمة الليل .. لايبددها الا بعض النجمات بدأت تسطع هنا وهناك .. لتلقي ظلالها علي بقايا الاشجار التي تعرت من كل شئ الا بعض الاغصان الخشنه .. ترسم خيالات كأنها الجن والمرده ينظرون الي بني البشر ساخرين .. او ملائكة الموت تستعد للانقضاض علي من لم يستطع ان يقاوم ويقف في وجه الجوع والعطش .. ولا زالت له بعض الايام تدافع عنه في وجه الموت .

كان الصمت مطبقا لايقطعه الا تردد نفسيهما الباهت كأنها انفاس العصافير .. وبعض من بقايا من جمر ملتهب يصدر صوت وهو يلتهم ماتبقي من اغصان يأسه .. امام البيت حيث كان يجلسان بقربه .. ولايبدد ذاك الصمت القاتل شئ .. فلا غماز الليل يرسل طنينه .. ولا كلب من بعيد ينبح او حتي جرو يعوي .. فالجهد اخذ من الجميع البشر والحيوان .. وحتي الحجر الذي توقف عن ارسال الماء من بين جنباته .

رفع رأسه .. ونظر الي امراجع مليا :

- اسمع يا بو رفيق .. مكوثنا هنا لا يجدي شيئا .. تمسكنا بهذه الارض لن ينفعنا بل علي العكس .. سيفقدنا اعز واغلي ما نملك الواحد تلو الاخر ..
- وماهو الرأي .. الرحيل ؟..
- نعم الرحيل ..
- الي اين ؟.. كل البلاد اصابها القحط .. وليس حالهم افضل من حالنا .
- مهما يكن من امر .. فمكوثنا هنا كمن ينتحر .. نسعي .. والله في عون عبده مادام يسعي ..
- والغائبين عنا .. عندما يعودون .. ماذا يفعلون ؟..
- هذا ان عادوا .. اسمع لو ان الله كاتب ان يلتئم شملنا من جديد سيلتئم .. وان كان مضي في قدره غير ذالك فلن نغير القدر بمكوثنا ..

اطرق برأسه من جديد .. فلم يكن يؤيد هذا الاقتراح .. لاسباب عده .. اهمها انه لم تكن له او لاسرتة طاقه بتحمل مشقات الترحال .. فقد اخذ الجهد منهم كل مأخذ .. وليست لديهم ما يحملون علي ظهره .. فقد قضي الجوع علي كل ما لديهم .. ولكن بقائهم هو الموت ايضا .. يا الله لطفك .. ماذا افعل .. طريقان لا حلاوة فيهما الا المر .. يسقيك العلقم ان رحلت او بقية .. ولكن هاهو الشتاء علي الابواب .. ولعل الله يرسل رحمته هذا العام .. انه قادر علي ان يغير من حال الي حال .

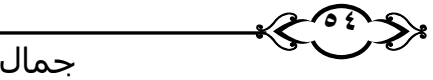

- هاهو الشتاء قادم .. وعسي وعل
- اي شتاء .. لو كان يبشر بالخير لسبقته علاماته ..
- ربك قادر علي كل شئ
- ونعم بالله .. ولكن الا تري الي السماء .. حتي الطير لم يعد يسبح بها .. فما بالك بالسحاب الذي اشتهينا حتي شكله

نكس رأسه من جديد .. فكل كلامه مردود عليه .. كان يتمني علي رفيقه ان يسمعه بعض الكلمات التي تساعده علي ان يري الامل .. بدل ان يطفئ كل سراج يهم بان يشع من بعيد .. هل هذه هي النهايه .. ان يدفن احدنا الاخر .. نعم هي سنة الحياه ولكن ليس بهذا التدافع .. هل سيفقد مريم ؟.. ام هي التي ستفقده ؟.. هل سيعيش ذالك اليوم الذي يري فيه البيت خاويا الا من تقطع انفاسه ؟.. هل سيجد من يدفنه ؟.. ام سيكون طعاما للغيلان ودبيب الارض ؟.. يا الله .. لو رفضت الرحيل هل سيتركني ويرحل هو واهله ؟.. وسامكث هنا انا والعيال في هذا الخلاء الموحش بمفردنا ؟.. هل يتركني ؟.. ولن اعرف هل وصل الي مبتغاه ام ابتلعه الطريق هو واسرته ..

- انا ليست لي القدره علي الرحيل .. لازاد ولا مركوب .. ولا جهد استطيع ان اغالب به مصاعبه .. ان كنت قررت الرحيل فـ..

**لم يستطع ان يكمل عباراته .. فقد اختنق صوته بعبراته .. واخذ يجهش بالبكاء كالاطفال .. واشاح بوجهه بعيدا لكي لاتري دموعه ..**

**- تبا لزمان يبكي الرجال ..**

**قالها له رفيقه وهو يشيح ايضا بوجهه بعيدا عنه ليتحاشي احراجه وهو يراه يبكي .. وقد اغرورقة عيناه هو ايضا بالدمع .. ففعلا تبا لزمن هذا حال الرجال فيه .. عاجزين من القهر ومن الخوف من يوم قادم بل ساعة قادمه لايعرفون ما تحمل لهم من الم وبؤس جديد زيادة علي بؤسهم والامهم .**

**آآه يا دنيا .. هل هذا امراجع الذي كان يخشاه فرسان القبائل وصناديدها .. صاحب القلب الحجري .. كان صوته لوحده كافيا عندما يزمجر كأنه السبع .. ليحل الصمت علي المكان الذي يصله زئيره .. امراجع التي كانت النساء الحوامل ينظرن اليه بحب حتي يكون وليدها شبيها له فعلا وشكلا .. امراجع الذي كان لا يهاب شيئا .. هل هذا الوجه الاسود من الجوع هو ذاك الوجه للرجل الوسيم الذي كانت تتغني به اشعار الباديه .. آآه يادنيا .. من التحف بك زاد بردا وعريا .. مسح ما تساقط من دمعات علي لحيته .. ووقف علي مهل .. ونظر اليه .**

**- هيا لنطمئن علي مريم .. وبعدها لكل حادث حديث .**

# الرقيه:

ـــــــــ بعد لحظات ليس بالكثيره .. كان قد وصلا الي المنزل .. ربط فرسه في العمود الذي امام المنزل .. ودخلا .. منزل متواضع .. تفوح منه رائحة الطعام الزكيه .. مطلي داخله باللون الابيض .. في المدخل سقيفه ارضيتها ترابيه .. تقابلك دار الضيافه بابها خشبي .. وعلي يمينها باب صغير يفضي الي داخل البيت .. وعلي شمالها دورة المياه .. فتح باب دار الضيافه ودخلنا .. يا الله .. ما ازكي هذه الرائحه التي كاد ان ينساها .. حيث كانت الحجرة تعبق برائحة البخور الزكي .. مفروشة فرش متواضع .. ولكنه يدل علي ذوق رفيع .. وفي ركنها الايمن يوجد فراش .. يبدو انه للضيف الذي يبيت عنده .. ظل واقفا في فتحة الباب يتأملها ويحاول ان يستجمع شجاعته .. فقد خارت قواه مرة واحده .. فقد تذكر انه قد اتي ليغدر بصاحب هذه الدار الذي يتقدمه ويهش امامه وابتسامته لم تفارق وجهه .. يالله .. لم يتربي علي ان يغدر بمن يكرمه .. او يخون .. ولكن .. لم يستطرد في تفكيره فقد ناداه صاحب الدار

- هيا تفضل يا اخي .. الدار دارك تفضل ..

خلع ما تبقي من حذاء كان يرتديه .. وضعه امام الدار ودخل وهو يتمتم باسم الله

الرحمن الرحيم .. تقدم وجلس في صدارتها .. استأذنه صاحب الدار في ان يغيب عنه للحظات .. وخرج .. وتركه مع نفسه .. تلومه من هنا .. والاخري تبرر له فعله بانه مغلوب علي امره .. يا الله .. كيف السبيل الي انهاء كل ذلك .. كيف الخروج من هذا الموقف سالما لاضار ولا مضرور .. لن يستطيع ان يعود ان لم ينفذ ما اقسم عليه .. وان نفذها .. الله وحده يعلم ماسيحدث لهذا الرجل الطيب .. وماذا سيفعل عندها ؟..

آآآآآآآآه .. اين انت يا ابي لتشير علي .. احتاج الي حكمتك ورأيك في هذا .. ماذا كنت ستفعل لو كنت مكاني ؟.. لكن اين انت واين انا .. ياتري ماذا حل بكم ؟.. لو تري ما انا فيه من حيرة وضياع .. وخوف .. ابنك ارحيم خائف يا ابي .. خائف مما سيفعل .. وخائف ان لم يفعل .. وخائف من ما بعد ان يفعل .

واستقر رأيه ان يترك الامور لخالقها .. الان ما عليه الا ان يسلم امره .. وينتظر الاحداث وليدعها تجري بما كتبت لها المقادير .. ومن هنا الي الصباح قد يحدث الله امرا .. غير ما دبر ويدبر .

لم يستمر في حيرته طويلا .. فهاهو صاحب الدار يدخل وهو يحمل كاس ومعه بعض الاكواب ويضعها امامه .. ليسأله ان كان يريد ان يدخل دورة المياه ..

- ليس الان .. بارك الله فيك ..
- مارأيك انتعشي الان .. ام ننتظر حتي نصلي العشاء ..
- نصلي العشاء وبعدها نتعشي ..

ليعود الي داخل الدار .. ولم يمكث طويلا فقد احضر الكانون .. جمراته تكاد تضي .. ووضعه وجلس خلفه .. وسحب من جانبه عالة الشاي .. ووضع الماء في البراد ووضع البراد علي الكانون .. ووضع الشاي بيده في البراد ثم اضاف عليه السكر واحكم اغلاقه .. واخذ في موانسة ارحيم .. وبدأت الحكايات والذكريات .. فبعد ان تعارف اكثر .. بداء صاحبنا في سرد رحلته مع الحجيج تفصيلا .. وماهي المواقف التي مر بها في البلاد .. حتي وصل الي بيت الله الحرام .. وكيف كانت نظرة الناس اليهم تختلف في البلاد .. وخاصة انه كان في القافله حجيج من المغرب .. فقد كان بعض الاهالي في المدن الشرقيه يخافون من الحجيج .. فقد كانوا يروون روايات عن بعض الحجيج والتي تشبه الخراريف .. حيث كان يروي عن بعضهم انهم كانوا يخطفون الاطفال الذين لديهم ميزات خاصه .. وخاصة ما يعرف بخاتم العين .. فكانوا حسب الروايه ياخذون الطفل ليفتحون به احدي كنوز الجن .

فأكد له ارحيم بعض هذه الروايات التي سمعها من والده .. وسمعها ايضا من اهل المدينه المجاوره لهم ..

**ولكن ذلك كان يحدث مع الحجيج الفرادي .. اما القوافل فقد كان يعلم انه يتم اكرامها والحفاوة بها .. بل منهم من كان ينتظرها ليلتحق بها حتي يؤدي فرضه .. وكانت تستقبل بالدفوف ويرشون عليهم ماء الزهر .. ويقيمون الافراح وحلقات الذكر والمديح لهم .. وكم مدح في جمال البلاد .. حيث الغابات وعيون المياه التي تسيل في الوديان .. فقد روي له انهم كانوا ينزلون ويطيلون المكوث في تلك المناطق التي هي قطعة من الجنه علي وصفه .. ليخبره ارحيم بكل اسف وحسره .. ان الصورة تغيرت الان .. فلا غابات ولا اوراق ولا ازهار ولا عيون تسكب المياه .. وحتي الغدران نضبت وجفت .**

**يرتفع الان صوت المؤذن من بعيد مناديا لصلاة العشاء .. ليتوقفا عن الحديث ويردد خلف المؤذن عبارات الاذان .. ويتبعها بالدعاء له ولكافة المسلمين .. ثم يقف ويلتفت الي ارحيم :**

- **ان كنت تريد ان تصبغ وضوئك تفضل ..**
- **لا .. لازلت احتفظ بوضوئي ..**
- **اذا باذنك .. اتوضاء واعود اليك لنصلي معا .. اظنك تعب ولا تستطيع الذهاب الي المسجد**
- **نعم .. نعم ..**

ذهب الي داخل البيت .. بينما اخذ ارحيم يؤنب نفسه .. فقد كذب مرة اخري .. هو لا يعرف الوضوء اصلا .. نسيه .. ويكذب من جديد .. يبدو انني استحسنت الكذب .. وانا الذي لم اكذب في حياتي .. يااه ما الذي دهاني .. هل هذا ما يفعله الخوف .. مابك .. اصبحت جبانا وكاذبا .. ماذا ايضا .

بداء البراد يغلي علي تلك الجمرات .. وبدأت رائحة الشاي المنبعثه منه تقترب منه لتفعل افاعيلها به .. ولتوقف كل ما كان يدور في فكره او تحدثه به نفسه .. فكم هو في حاجة الي كوب من الشاي ليطرد ذاك الصداع الملازم له من بداية رحلته .. لاشك ان الدنيا ليست ثابته علي حال .. متقلبه .. يوم لا تجد حتي قطرة ماء لتبلل بها ريقك .. ويوم تصل بك التخمه ان تشرب طاسة من الشاي .. واخذ يتذكر تلك الايام الخوالي في النجع .. لم يكن احد يتوقع ما يحدث الان .. كانت الينابيع تسكب ماءها في الغدران .. وكانت الشياه تتوالد وتسمن وهي تقتات علي خيرات الارض .. وكان الكل فرحا سعيدا .. الاطفال يلعبون فرحين ولا ينغص حياتهم شيئا.. والرجال كل تفكيرهم في يوم الحرث والزرع ويوم الحصاد .. وهل حان وقت الجلامه .. والنساء يحلمن بافراح ابناءهن وبناتهن .. الكل فرح .. وراضي بما قسمه الرحمن له من رزق .. مهما كان هذا الرزق .. فالمحبة التي تكتنف الجميع كانت تشعرهم بالدفء

**والامان .. وازداد غليان البراد .. حتي لتسمع صوت فقعاته .. ورائحته آخذه في الانتشار في تلك الغرفه .. ليقطع عليه استرساله دخول صاحبنا وهو يمسح اطرافه من ماء الوضوء .. وتقدم واخذ في اقامة الصلاه .. وعندما اتمها طلب من ارحيم ان يتقدم الي الامامه به .. ومن هول المفاجآه لم يرد وتسمر في مكانه .. الح عليه في التقدم فأسعفه رد ارتجالي انقذه من محنته ..**

- **والله لا يجوز ان اتقدم عليك .. انت صاحب الدار واكبر مقاما وسنا ..**

**تقدم .. وصليا العشاء .. وما ان القي السلام .. حتي سمع طرقا علي الباب الداخلي للبيت .. وقف واتجه الي الباب ليعود بتلك الصفره .. وفي وسطها قصعة من البازين مغطاه بقطع من اللحم الكبيره .. وضع الصفره امام ارحيم .. وجلس قبالته من الجهة الاخري من الصفره.. وشمر عن ساعديه :**

- **هيا سم باسم الله ..**

**.....**

هاهو يرتشف ما تبقي في قعر الطاسه من شاي .. وقد استكان قليلا وهدأت نفسه بعد حسم معركته مع البازين وتغلب علي كل قطع اللحم .. حتي انتبه الي طريقة اكله المخجله التي تنم عن المجاعه .. وتوقف عن الاكل لولا القسم الذي عالجه به صاحب الدار ان ياكل ما تبقي من لحم .. وان لايحرمه الاجر .. وقد اخذت الحكايات بينهما مجرا وديا .. فكانت الحكايا والذكريات .. واخذتهم الحكايه الي النصيب والمقدر لك من الله تعالي .. فروي له اثناء رحلته مع القافله للحج .. انه ادركهم الليل في طريق الصحراء عند واحة من النخيل بها نبع ماء .. وكانت نوبته في تجهيز العشاء لرفقته .. فقد كانوا اربعة لا خامس لهم.. فاوقد النار وسكب الماء في الاناء ووضعه علي النار .. وذهب ليحضر الدقيق فقد اتفقوا ان يصنع لهم عصيد بزيت الزيتون .. ولكن للاسف اكتشفت انه لا يوجد دقيق .. وقد بداء الماء يغلي .. بحثة في الخرج فوجدت بعض من (الزميته ) واخذ رفاقي يسخرون من انني وجدتها حجة حتي لا اطبخ لهم .. واخذو يقولون .. حرام عليك شوية الماء بدون فائده .. فرفعة الماء من علي النار وسكبتها بعيدا علي مرمي يدي .. وقررنا ان نجعل عشاءنا بعض من الزميته ..

- سكبت الماء الساخن ..
- نعم .. وماذا نفعل به
- وبكل تاكيد نسيت ان تذكر اسم الله

- يبدو ذلك .. يبدو ان الشيطان انساني ان اسمي

تذكر ما رواه له الجني عن انه سكب عليهم الماء فقتلهم .. لكن الا يعلم ذالك الجني انه خطاء وانه لم يقصد ايذائهم او يعلم بوجودهم اصلا .. ولكن هيهات من يستطيع ان يقنعه .. فنار الثأر لن تجعله يسمع ولا يري الا ان يثأر منه .. وانا من سيمكنه من ذلك .. سامكنه من اذيت من احسن الي .. يا الله .. حكمتك .

وقف صاحبنا وبداء في نقل عالة الشاي الي داخل المنزل .. بينما كان ينظر اليه ارحيم ويراقبه .. ويسأل نفسه ماذا سيحل به .. واين هي تلك الرقيه التي تحدث عنها الجني .. وكيف السبيل اليها .

دخل ومعه فراش اخر .. واخذ يعد مهجع النوم .. ترك لي الفراش الموجود اصلا .. وطرح هو الفراش الاخر بعيدا عني قليلا .

- االحضر لك جلباب لترتاح وتنام فيه ؟..
- لالا .. لاداعي .. لك الشكر ..
- اذن انزع عنك وخفف .. فالحر شديد .. وان كنت تريد دورة المياه تفضل
- بارك الله فيك .. لا .. لست في حاجة اليها ..

انتقلت الي الفراش .. ونزعت عني الجبه ووضعتها بجانبي .. بينما هو اخذ في التخفف من بعض ملابسه .. هاهو ينزع القميص .. واري ذراعيه .. يا الله ماهذا المربوط علي ذراعه .. يااااه .. هل هذه هي الرقيه التي ؟؟ .. لابد ان تكون هي .. هذه التي اتيت اليها من اقصي الدنيا .. هذه القطعة من القماش هي من تحرس هذا الرجل من ذاك الجني .. ولكن ما الذي سيحدث له ان انا نزعتها عن ذراعه ؟.. بل كيف السبيل الي نزعها ؟.. وكان يتابع حركاته حتي خرج الي دورة المياه .. ثم عاد والماء يقطر من اطرافه .. يبدو انه توضاء .. ماذا هل يريدنا ان نصلي مرة اخري ؟. لالا .. هاهو يستلقي علي الفراش ونظر الي .. ولكنني اغمضت عيني قبل ان يراني .. نظر الي مليا .. وهز رأسه

- مسكين غلبه النعاس من شدة التعب ..

كان يعنيني بهذه الكلمات بكل تاكيد .. يا الله من منا المسكين وتمتم ببعض الادعيه .. ثم استدار الي الجهة الاخري واخذ يغط في النوم .. فتحت احدي عيني كأنني اتلصص .. هاهو ادار وجهه للجهة الاخري واستلقي علي جنبه الايمن .. وهاهي الرقيه مثبته بتلك القطعه من القماش في ذراعه الايسر .. ما علي فعله هو ان انزعها .. ولكن كيف ؟.. لو اقتربت سينتبه لي وتحل الكارثه .. اذن ادعه حتي يستغرق في النوم .. لازال الليل في اوله ..

وادعو الله ان لايكون نومه خفيفا يستيقض مع كل حركه .. لانتظر قليلا .. مازال الليل في اوله .

.....

هاهو قد غرق في نومه وتعالي صوت شخيره .. وها انا اتسحب وادب علي اربع بخفة واقترب منه .. هاهي انظر اليها .. وها انا امد يدي وانزع الرقية من علي ذراعه .. واخذ الورقة التي بداخلها واعيد قطعة القماش واربطها كما كانت .. وهاهو الصباح قد اشرق علي يوم جديد .. ليجد صاحب الدار قد اعد الافطار ولا يبدو عليه انه لاحظ ما حدث .. وهاهو يذهب الي دورة المياه ويعود ليجلسا الي تلك المائده .. ثم يستأذنه في الرحيل وبعد جهد جهيد اذن له .. وهاهو يركب فرسه بينما صاحبنا يودعه بابتسامة الرضي .. لينكز فرسه ويجعلها تسابق الريح عائدا الي موطنه .. وهو يمني نفسه بالمكافأة التي تنتظره .. وهاهو يحث السير ينهب الارض نهبا .. مواصلا نهاره بليله .. هاهي الشمس تشرق من جديد علي يوم جديد .. وهاهو يقترب من مكان لقائهم الاول .. لكن علي مد البصر لايوجد احد .. هل اخل الجني باتفاقه .. هل ؟.. ولم يكمل تسأله فقد رآه يقف هناك

**بجانب تلك الصخرة التي توسدها يوما .. هاهو يصل ليستقبله بكل الحفاوة والترحيب ..**

- **اطلب تمني .. فقد انجزت وعدك .. ماذا تريد من مكافأه ؟..**

**هه .. لم ينطق .. فقد الجمه السؤال .. هو فعلا لم يفكر طيلة هذه الرحله ماذا كان يريد وماذا يطلب .. هه .. هل يطلب مالا وذهابا .. لكن ما فائدة الذهب والمال في ايام القحط هذه .. يطلب مأونة .. ولكن كم يطلب مؤنة شهر ام سنه .. وبعدها تنتهي .. لالا سيطلب قطيع من الاغنام .. نعم .. فهذا ما هم في حاجة اليه في نجعهم .. ويطلب معه عدد من احمال علف له حتي لايقضي عليه الجفاف .. نعم .. نعم هذا هو الرآي**

- **هل لي ان اطلب اي شئ**
- **اي شئ يخطر ببالك .. تمني علي .. فقد اطفأت النار التي كانت تشتعل في صدري .. ها ماذا تريد ؟**
- **حتي وان كان طلبي كبيرا وكثيرا ..**
- **حتي وان .. ها ..**
- **اريد قطيع من الاغنام ..**
- **فقط**
- **لا انتظر .. واريد معه حمل عشرة من الابل علف له**
- **فقط ..**

- هذا يكفيني .. فهل اكثرت ..
- لا .. لك ما طلبت وبدل العشره لك مني عشرين ..

وتعالت اصوات ثغاء الشياه .. ورغاء الابل .. يا الله ما هذا .. قطيع لم يري مثله من قبل لاعدد ولا هيئة .. علي مد البصر .. واخذ يمتع ناظريه .. واقترب منها وتحسسها ليتأكد انه ليس بحلم .. اه ما اروعك .. حتي في الخيال لم يحلم بمثل هذا .. وانتبه علي صوت الجني

- ها هل كنت عند وعدي
- نعم .. نعم .. ولكن هل لي ان اطلب معروفا
- نعم .. اطلب .. تمني .. فانت لاتعرف مدي الخدمة التي قدمتها لي
- هل في الامكان نقل كل هذا وانا الي قرب نجعنا ..
- لك ما تمنيت

وفي لمح البصر وجد نفسه وسط تلك الغابه علي مشارف النجع .. والقطيع يسير امامه كأنه اعتاد الطريق .. تتبعها تلك الابل التي تتهادي بحملها .. والغريب ان الاشجار بدأت تورق .. ويبدو ان القحط قد رفع عن البلاد والعباد .. والارض رطبة من اثار المطر .. واقترب .. هاهم اهله والنجع جميعا في استقباله فقد نبههم صوت صياح الحملان ورغاء الابل .

واخذه ابوه بالاحضان .. وهاهي امه .. حضنها وقبل يدها ورأسها .. وهاهو عمه امراجع يستقبله بالاحضان .. حيث تقف بجانبه مريم .. وقد ازدادت جمالا علي جمالها .. وهاهم ياخذونه الي البيت .. واعدوا الطعام وكثرت الحكايا .. والغريب ان لا احد سأله لمن او من اين هذا الخير كله .. واخذته امه علي جنب .. وحدثته انه لم يعد هناك داع لتأجيل زفافه بمريم .. ووافقها حيث هذا كل مناه .. وابلغت والده الذي لم يتوان وطلبها من ابيها .. لترتفع الزغاريد وتعم الافراح النجع كله .. ولياخذ امه الي المدينه لتشتري كل ما تحتاجه .. ويحتاجه البيت .. ولتأتي ليلة الزفاف .. والكل يغني ويرقص .. هنا حلقة كشك .. وهناك حلقة للشعر .. وهنا الصبيان يعزفون المزمار .. وهاهم الفرسان يتسابقون علي خيولهم .. وهاهو الجمل الذي عليه الكرمود يقعد امام بيت مريم .. لتركب فيه العروس .. ليتهادي بما يحمل من جمال الي حيث بيته الجديد الذي بناه في اطراف النجع .. وهاهو يقترب وهو وسط شباب النجع يحتفون ويغنون له .. وقلبه يكاد يخرج من بين ضلوعه فرحا وشوقا .. ليسمع من طرف النجع من ينادي باعلي صوته :

- يا .. ارحيم .. يا ارحيم .. السيل .. السيل اخذ القطيع

لينتبه فزعا .. ليجد نفسه في دار الضيافه .. ويبدو ان النوم تسلل الي عينيه دون ان ينتبه .. يا الله .. كم من الوقت نمت .. لينظر الي صاحبنا ليجده يغط في النوم وقد بداء صوت الشخير يتصاعد .. وكما هو لم يتحرك لازال يضطجع علي شقه الايمن.. ياالله .. ياله من حلم رائع .. وفعلا انا لم افكر في نوع المكافآه .. فعلا هي هذه مكافأتي ولكن يجب علي الان ان انهي مهمتي .

انسحب من فراشه بهدوء واقترب رويدا رويدا منه .. اقترب هاهي الرقيه في متناول يده .. ما عليه الا ان يفتح عقدتها وياخذها وينطلق هاربا .. فهاهي فرسه امام البيت ولن يدركه احد .. امسك طرفي العقده بيديه .. واخذ بكل حذر يفتحها .. هه .. هاهي بدأت خيوطها في الانفراط .. هاهو يسحبها بكل هدوء من علي ذراعه .. وهاهو يعود بها الي مكانه ويقف لياخذ جلبابه ويهرب .

ولكنه تسمر في مكانه فجاءة .. فقد بداء طرق عنيف سريع علي باب البيت .. تجمد في مكانه لا يعرف ما الذي حصل .. وما الذي يفعله .. واستيقظ صاحبنا فزعا .. ووقف مسرعا واتجه الي ناحية الباب دون ان ينتبه له .. فتح باب الدار واسرع الي باب البيت وفتحه .. ومع فتح الباب سمع صرخة مدويه وسقوط شئ علي الارض بقوه .. تبعه وقع اقدام مسرعه وتعالي بعدها صوت صراخ امراءه .. خرج مسرعا ليجد المراءه تصرخ وتندب وتلطم خدودها وهي ممسكة بجثة زوجها .

## مريم :

قطع سكون الفجر في ذلك الجبل صوت صراخ يقطع القلوب صادر من بيت امراجع .. كان الصراخ قويا .. نهضة مسرعه دون حتي ان تهتم لتغطية رأسها .. ذهبت تجري باتجاه بيت امراجع .. في نفس الوقت استيقظ معها وتبعها بعد ان وضع رجليه في بقايا ذلك الخف .

وجدت ام مريم امام البيت تطلم خدودها وهي تصرخ .. وتأخذ الرماد من بقايا تلك النار التي امام البيت وتنثره علي رأسه .. توقفت لبرهه .. عرفت ان مريم غادرت الحياه.. بدون تفكير بدأت تلطم خدودها وتنثر الرماد علي رأسها هي الاخري .. بينما اخوات مريم يزداد صراخهن وعويلهن داخل البيت .. وبدأت نساء النجع في التجمع علي صوت العويل واخذن في المشاركه في الصراخ ونثر الرماد .. واخذت المعدده في القاء تلك الاهازيج التي ترثي بها الفقيده .. والصراخ والعويل كأنه معزوفة سمفونيه تتراتب نغماتها مع نواح المعدده .

وصل الي بيت امراجع ليجده جالسا عند طرفه يبكي بكاء كبكاء الاطفال .. اقترب منه جذبه اليه .. وقف .. احتضنه وطبطب عليه ..

- هيا بنا الي البيت .. سياتي الرجال لتعزيتك .. وليس من اللائق ان يجدوك تبكي الموت .. فمن يستطيع ان يمنعها عن نفسه .. هيا

ذهبا .. بينما استمرت النساء في الصراخ والعويل .. ونثر ذاك الرماد علي الرؤس .. وقد شكلن دائره يدورن فيها .. وهن بين الحين والاخر يقفزن .. والمعدده تشدو بتلك العبارات التي تزيد من صراخهن وعويلهن .. فهي ترثي الفقيده .. وتستذكرهن من فقدن من امهات واباء واخوه وابناء .. وكأنها تضع مزيدا من ملح الالم علي الجرح الغائر في القلوب ليزداد الما .

كانا قد جلسا في وسط البيت وهاهم رجال النجع وشبابه بدأو يتوافدون مع اشراقة شمس يوم جديد .. هاهم يعزونه ويعزون انفسهم .. فالمصاب واحد .. ومريم اخت الجميع .. وهاهو احد الشباب يتقدم ليوقد النار .. وهاهم رجالات النجع يخيم عليهم الصمت كأن علي رؤسهم الطير .. فالعجز وقهر الجفاف ذهب بنشاطهم .. فلا تري الا وجوه بأسه يكسوها سمارة وحزن .. ليقطع احدهم الصمت

- صلوا علي خير الانام
- الصلاة والسلام عليك يارسول الله
- وحدوا الله
- لا اله الا الله

كان يرسل عباراته بينهم وهم يرددون عباراتهم في صيغة اليه .. رتيبة .. تنم عن ان اصحابها يغلبهم الضعف والتعب .. وساد الصمت من جديد .. منهم من ينظر الي الخلاء .. ومنهم من ينظر الي السماء يناجي ربه .. او كأنه يطلب منها ان تجود عليهم فقد بلغت الشدة بهم ما بلغت .. ومنهم من يطأطاء رأسه الي الارض ويكاد يغلبه النعاس تعبا وليس عطشا لنوم .. ليقف ويأتي بعالة الشاي ويقدمها لذاك الشاب الذي اوقد النار .. ليعلو صوت احدهم

- اكرام الميت دفنه .. هيا يا شباب .. ليذهب منكم اثنان لتجهيز القبر .. فها هي الشمس ترتفع .. اذهبا ..

وقف ثلاثة من الشباب .. وذهبوا .. بينما اخذ الاخر في اعداد الشاي .. وعاد الصمت يخيم علي المكان من جديد .. فليس هناك من حديث يقال .. فالموت لم تعد غريبه في نجعهم .. فقد كانت تزورهم بين الحين والاخر في فترات متقاربه .. فقد كان الجوع والمرض يعبد لها الطريق اليهم .

زمان كانت الموت صعبة وغريبه .. لانها لا تأتي الا بين الحين والاخر .. في فترات متباعده قد تصل الي العام .. وكانت دائما ما تاخذ منهم كبار السن من رجال ونساء .. ونادرا ما كانت تمر علي من هم في ريعان الشباب .. وكانت

مناسبات العزاء عامرة هي الاخري مثل الافراح .. فتذبح الذبائح .. وتمتلئ القدور باللحم والارز .. وبكل ما طاب ولذ لديهم .. وياكل الاهل والاقارب وعابري السبيل .. وحتي الطير والحيوان كان له نصيب من الطعام .

لكن الان تأتي سراعا .. تخطف من كل الاعمار وفي كل الاوقات .. ولم تعد عامره كما كانت .. قد تقتصر علي كوب من الشاي .. واحيانا كثيره لاشئ يقدم .. فشح الماء والفقر ساوي بين الجميع في الحياة والموت .. وقد يكون رحمة بهم .. فهذا ينقص احد الافواه التي تشاركهم في لاشئ لديهم .. وتزيد من معاناتهم .

وهاهو الشاب قد اعد الشاي وبداء يسكبه في تلك الاكواب .. ويقف ويبداء في توزيعه علي الرجال داخل البيت ..

- لم يكن هناك داعي لهذه الخسائر

قالها احدهم .. ولم يعرف ما كان يقصد بهذه العباره .. فلم يعلق علي عبارته احد .. فهل كان مستهزاء ساخرا .. كناية في ان العزاء يقدم فيه الشاي مع الخبز .. واللحم والارز .. وتتنوع الوجبات .. ام كان يقصد ما يقول .. فان الشاي الذي استهلك الان يكفي صاحب البيت لايام وقد يكفيه لاسابيع .. وما يفقده لايعوض الان .. ولكنه احس بالمها .. وزادته الما علي المه بفقد الغاليه .. ولكنه

كتمها غصة في قلبه .. فليس لديه ما يقول .. ولو كان المقام غير المقام .. لقال مقال ..وسبقته الافعال قبله .

انفظت تلك الحلقة من النساء .. وجلسن الي الارض كل اثنين او ثلاثه رؤسهن في رؤس بعضهن وهن بين عويل وبكاء وندب الحض وعدم القبول بوفاة مريم .. ومنهن من تذكرت غاليا لها فقدته من مده .. وانفتح باب الحزن ونكأء الجرح ليعود من جديد عندما جاءت الموت .. وبنات واطفال الحي منزوويين بعيدا .. لايعون ما حدث .. الخوف من المجهول يطبق عليهم .. والبؤس ظاهرا عليهم .. كأنهم أيتام لامعيل لهم .

.....

هاهي الشمس ترتفع في كبد السماء .. وهاهم الرجال يحملون الجثمان علي اكتافهم ليأخذوه الي المقبره .. وهاهم يخرجون من البيت .. لتهب النساء هبة واحده وقد بدأن في الصراخ والبكاء والعويل .. لتنهار زينب وتسقط مغشيا عليها .. لتتحلق عليها النساء .. ويذهب الرجال

هاهم الشباب قد انهوا اعداد القبر .. وهاهي الجنازة قادمه علي اكتاف الرجال .. يتبعها امراجع وبقية رجال وشباب النجع .. ليضعوها علي حافة القبر ويصطفون للصلاة عليها .. ليدخلوها .. ويضعون التراب عليها .. لتبلله دموع ابيها .. ويعودن من حيث اتوا .. الي النجع .

*****

# العودة ؟

هاهو لازال ينهب الطريق نهبا .. علي فرسه التي تكاد تطير .. بينما يغالب هو النعاس الذي بداء يثقل جفنيه .. وقد بداء قرص الشمس ياخذ مستقرا له في كبد السماء .. وهاهي الهواجس تطارده .. بين الخوف والفرح .. فقد كانت تخايل له ان اصوات تنادي وتصرخ خلفه .. وايادي تكاد تمسك به .. وبين فرحة غير معلنة عن انتهاء مهمته وما ينتظره من مكافأه يعود بعدها الي النجع محملا بكل ما تشتهيه الانفس .. وليتزوج مريم .. وينجبون اطفالا .. ويعيشون في سعادة وهناء .. لايكدر صفوها شئ .. ولا حتي القحط والجفاف والفقر .. سيكون من اغني اغنياء المنطقه .. وقد يقنع والديه وعمه امراجع بالانتقال الي المدينه .. فهو لن يترك اطفاله بدون ان يتعلموا القراءة والكتابه .. سيدخلهم الكتاب .. ولربما يكون منهم فقيها يعلم الصبيان بعد ان يكبر .. نعم .. نعم .. سينتقل الي المدينه .. ويسكن في احد بيوتها .. بل سيشتريه ويكون ملكا له ولابنائه من بعده .. وسيفتح دكانا كدكان عم صالح .. يملاءه بكل ما يحتاجه الناس هناك .. وسيصبح صاحب ثروة يشار اليه بالبنان .. وسيشتري عقدا من الذهب لمريم تزين به جيدها .. بل وخلخالا ايضا .. وسياخذ ابيه وامه الي الحج .. نعم .. كم من مرة لمح ابيه الي رغبته في الحج .. ولكن لقلة

ذات اليد لم يستطع .. الان ليس هناك ما يمنع ان يذهبون جميعا .. بل سيسير قافلة للحج هو بنفسه ياخذ فيها كل اهل النجع الراغبين في الحج .

ايقضه من حلمه صهيل الفرس .. انتبه .. رفع رأسه .. آه .. هاهو الجني يقف علي بعد خطوات منهم .. ينتظره في الطريق .. توقفت الفرس بجانبه .. واول مره يري وجهه مستبشرا وقد زالت عنه تلك المسحة من الحزن .. نزل من علي فرسه .. وهو يكاد يسقط من التعب ..

- علي رسلك .. تعال اجلس .. اجلس وارتح ..
- لكن ..
- لاتستعجل شيئا .. الان اجلس وارتاح .. فقد اعددت لك الاكل .. تعال .. وحدثني عن رحلتك .. تعال .. اترك الفرس لن تتحرك .. تعال ..

ورفع الجني الغطاء .. فاذ بها مائدة من كل ما لذ وطاب .. وماء بارد .. وهناك براد الشاي علي النار يغلي .. وبدون ان يسأل او ينتظر بداء في الانقضاض علي مافي المائده .. وبعد لحظات ..بداء في رواية ما حدث له في رحلته كلها .. وكيف التقي بالرجل في دكانه .. وذهبا للصلاه وبعدها البيت .. والعشاء الذي قدمه له .. وكيف استطاع ان ينزع تلك الرقيه .. وان الباب طرق وسمع صرخة .. وخرج ليجد الرجل ملقي علي الارض جثة هامده وزوجته تلطم خديها

وتصرخ .. وكيف هرب وواصل المسير ليل بنهار حتي وصله .. وتوقف ونظر الي الجني مليا .. الذي كان يستمع الي روايته بكل اهتمام .. متسائلا

- ولكن مالذي حدث للرجل ؟.. ومن الذي ؟..

انطلقت ضحكة مدويه ارتجت لها الصحراء .. وكأنها اهتزت .. حتي انه خيل اليه انه هذه هي الصرخه .. ونظر الي الجني الذي كان يهتز وتتغير الوانه واشكاله وهو يطلق تلك الضحكه .. والنار تنبعث من كل مكان فيه .. وبدأت في التلاشي رويدا رويدا .. واقد اخذ قلبه في الخفقان كانه انطلق بغير رجعه .. واخذ العرق يتصبب منه ويسيل علي جبهته . حتي انه شعر بحرقانه في عينيه .. ففركهما واعاد النظر اليه .. هاهو يعود الي طبيعته .. والابتسامة تزين محاياه .. واخذ وجهه يضئ من الفرح .. واستكان وبدأت نفسه في الهدوء ..

- لننسي كل ذلك .. ولتنسي ماحدث لذلك الجزار .. فقد اراح .. ولتطب نفسك .. وهيا لتستعد لرحلتنا القادمه ..
- اي رحله .. هه اي رحله .. لا نحن لم نتفق علي رحلة اخري .. كان اتفاقا بيننا واقمست عليه ووفية بوعدي .. لالالا .. لن ابرح مكاني .. حتي المكافأه

- علي رسلك .. علي رسلك .. ما بك .. انت اسأل فقط ماهي والي اين الرحله القادمه وبعدها لكل حادث حديث ..
- لا اريد ان اسأل ولا ان اعرف الي اين .. ان كنت تراجعت في وعدك لي فليكن وعوضي علي الله .. لكن ..
- دائما متسرعون انتم ايها البشر دائما .. دعني اكمل حديثي وبعدها اما ان تقبل او ترفض الامر لك .. اسمع فقط
- هه .. ها انا استمع .. قل .. تكلم .. هه
- رحلتنا القادمه ليست بالبعيده .. قريبه جدا .. ساذهب بك الي المغاره .. حيث يمكنك ان تختار وتأخذ ما تريد من مكافأة لك
- آآآآآآه .. مغارة علي بابا .. اه .. هكذا لابأس .. هيا بنا .. هيا
- ولكن انتبه لكل كلمة اقولها .. ولا تنسي .. سندخل المغاره .. وحذاري ان تنطق بأي كلمه حذاري .. وسنمر بما لم تره ولم تحلم به ابدا .. فلا تتكلم .. فقط اشر بيدك لكل ما تريد .. اشر فقط

وقفا .. وهم بان يمسك برسن الفرس .. فنهاه عن ذلك .. طالبا منه تركها .. واتجه خلف الجني الذي بداء في التوغل في الصحراء .. وهو بالكاد يحاول ان يجاريه في

مشيته وقد بداء عليه التعب ولم يظهر لهم شئ الي الان .. فاسرع واقترب من الجني وسأله

- الا تستطيع ان تحملني وتطير بي الي المغاره .. ام ان الطيران هي تخاريف سمعناها عنكم فقط
- وهل تتحمل الطيران .. الا تخف منه .. هيا تعال

وامسك به .. وطار في السماء .. ورآي نفسه في الهواء .. فارتعش وتمالكه الخوف من السقوط من هذا العلو .. وكاد يصرخ .. ولكنه اغمض عينيه حتي لايري شيئا .. وكانت الريح تكاد تعصف به من شدة سرعة الطيران .. وشعر بضيق في صدره .. ثم احس بان كل شئ توقف .. واحس بان رجليه تقف علي شئ صلب .. ففتح عينيه بكل هدوء .. ليجد نفسه يقف علي جبل .. امام فتحة كهف كبير .. هذه هي المغارة التي تحدث عنها .. يا الله بهذه السرعه .. اين انت يا ابي لتري ابنك يتنقل من مكان الي مكان في لمح البصر .. وتقدم الجني الي فتحة المغاره .. والتفت اليه محذرا من جديد .. ولكن هذه المرة بلهجة غاضبه ناهيه امره محذره ..

- كما قلت لك ولا كلمه ولا حرف .. مهما رأيت ومهما سمعت .. لو نطقت بحرف واحد الله وحده يعلم ماسيحدث لك .. احذر ..
- كن مطمئن .. ساكون احرص منك علي ذلك ..

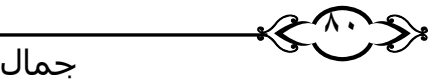

ودخلا الي المغاره .. وسارا في ممر بالكاد يسعهما .. وبداء يحس برطوبة المكان .. والغريب انه كلما توغلوا دخولا .. زادت الرؤية وضوحا برغم عدم وجود اي نور ينبعث من فانوس او شعله .. تقدما .. بعد لحظات توقف الجني فقد انتهي ذاك الممر .. ولم يعد هناك من مكان يذهبان اليه .. امامهما حائط اصم .. توقف للحظات ثم وضع يده عليه وتمتم ببعض الكلمات التي لم يفهم منها شيئا .. فانفتح ذاك الحائط الي نصفين .. ليدخلا في ممر اخر .. ولكن هذه المره ممر محفور في الصخر بكل دقه .. وتقدما .. تقدما .. وقد بدأت بعض الاصوات في الوصول اليهم .. ورائحة بخور زكي بدأت تتسرب الي انفه .. لم يستمرا طويلا حتي وصلا الي قوس يفضي الي باحه فدخلا .. كان سوقا للذهب والفضة والمجوهرات .. كانت المجوهرات مكدسه بالاكوام .. وكان الذهب معلق في كل مكان .. وهم بين رائح وغادي .. من يشتري ومن يتفرج فقط .. فأبطاء الجني من سيره .. وحاذاه وهو يشير اليه بان يشير لما يريد .. ماذا ياخذ .. وكيف يختار .. هل ياخذ ذهب وفضه .. هل ياخذ الذهب سبائك ام مصنوع عقود واساور وخلاخيل .. ام ياخذ من هذا وذاك .. ام ياخذ ذهبا وفضه .. كان عقله يكاد ان يطير فلم يري او يحلم في منامه يوما ان هناك سوقا بهذا الحجم فيه كل هذا الذهب وهذه الكنوز .. واقترب من زاوية كانت فيها تماثيل لحيوانات مصنوعة من الذهب ومزينة بالجواهر .. لم يتمالك نفسا اعجابا .. وبقدرة الله علي خلق كل شئ

**بقدر .. وتحسس ذاك التمثال لغزال .. ومرر يده عليه .. ونظر الي عينيه التي كانت جوهرتين .. ونسي حذره .. وعظم الله ..ونطق ..**

**- ما شاء الله .. سبحان الخالق ..**

*****

**انتبه من نومه ليجد نفسه في تلك الصحراء .. بجانب تلك الصخرة التي جلس عندها في بداية رحلته قادما من نجعهم .. كان مددا علي الارض .. نظر في السماء كانت الشمس تقارب منتصف السماء .. والسماء صافيه .. هم بالجلوس احس بالم في كل مفاصله .. بل في كل انحاء جسمه .. كأنه كان يصارع او تعرض لضرب مبرح .. او كأنه سقط من علو .. تحسس وجهه .. بداء يتلمس في جسمه .. نظر الي ثيابه الرثه .. تلفت هنا وهناك .. الصداع يكاد يفتك به .. يحتاج الي ان يصرخ كي يخفف الالم .**

**يا الله .. هل كنت احلم .. هل هذا كان كله حلمه .. الحمدلله .. يااااه .. يا الله .. ولكن ما الذي اصابني .. كأني سقطت من علي تبة عاليه او ان احدهم ضربني .. بكل اكيد من اثر**

**الطريق فانا من زمن بعيد لم امشي كل هذه المسافه .. آآه .. كم انا عطشان .. التفت لياخذ رشفة ماء .. لكنه لم يجد مطارته .. بحث عنها هنا وهنا وهناك .. لم يجدها ولم يجد الخرج حتي .. هه اين ضاع .. هل مر احدهم وسرقه بينما كنت نائما .. هل يعقل ذلك .. هل اسرق وانا لم انتبه .. ولكن متي وكيف ؟.. واين بقية ملابسي .. وما الذي مزق التي ارتديها .. هل كنت في عراك مع احدهم وتغلب علي حتي اغمي علي وسرق متاعي كله ؟.. هل ..؟.**

**يالله .. ماذا حدث لي وماذا يحدث .. هل كنت احلم ام كان واقعا .. هل هناك جني التقيت به وذهبت الي الخضراء ورجعت ودخلت المغاره .. ذاك الكهف الملئ بالكنوز .. ام انه كان حلما .. لكن كيف اعرف ان كان واقعا ما .. ام حلما .. بل كابوسا اضاع كل ما املك .. لكن ان كان واقعا وحقيقه .. كيف انا هنا .. في نفس المكان الذي توقفت فيه لابيت ليلتي .. نعم كنت احلم .. كنت احلم .. لكن اي حلم هذا الذي تضيع فيه حاجياتي .. اي حلم .. هل احلام هذا الزمان هكذا .. ام هل الجن تلاعبت بي لتسرق متاعي ومائي .. نعم .. نعم .. هذا ماحدث .. دخلت عقلي وشردت بي في مغامرة .. وعرفت ما اريد فاوهمتني بنيل المراد .. ثم سرقت كل ما املك .. ام هي الاحلام .. هل حلمي هكذا يفعل بي .. هل هي هكذا في هذا المكان والزمان .. فالاحلام اصبحت لا تضيع لوحدها بل تاخذ كل ما لديك .. لقد اخذ**

**حلمي كل ثروتي كل ما املك .. مطارة الماء وعصاي التي اذود بها عن نفسي .. والخرج الذي به بعض الزاد للطريق .. وابدلني به خوفا .. لكن اي حلم هذا الذي يوصلك الي الهلاك .. بكل تاكيد سأموت في هذه الصحراء من العطش . كيف ذلك ؟.. خرجت من نجعنا ابحث عن ربيع لي ولاهلي .. هه .. لكن اين الربيع .. هل انا مازلت في الحلم ولم استيقظ بعد ؟.. هه فعلا انا لازلت احلم .. ولكن كيف اعرف انني لازلت احلم ولست مستيقضا .. هه .. بسيطه لاقرص يدي .. فان احسستها فانا لا احلم .. وهم بان .. ولكنه توقف .. ولو اكتشفت انني لا احلم ساموت في مكاني من اليأس .. ساموت لانني عرفت مصيري وهو الموت عطشا .**

**الشمس تعامدت في كبد السماء .. وزادت من الامه .. فالصداع بداء يشتد ويكاد رأسه ان ينفجر .. وكل عضو ومفصل في جسمه يأن الاما .. ها قد ضاع منه كل شئ .. حتي الامل في ان يجد مكان يعمل ويعيش فيه .. ليعود الي اهله محملا ويخفف عنهم عذابات شظف العيش .. وتكتمل سعادته بمريم .**

**مريم .. واين انا من مريم الان .. ماذا عساي اقول لها واقول لهم .. نمت فحلمت وضاعت اشيائي وانا نائم كما تضيع اشياء الاطفال .. هل انا ذاك الرجل الذي كانوا ياملون الكثير منه .. رجل لايستطيع حتي المحافظة علي ما يملكه ..يضحكون عليه بالاحلام .. ماذا تنتظر منه ؟.. مالخير الذي**

سيجلبه ؟.. كيف انظر الي وجهها .. وماذا اقول لها .. خاب املك في حلمك وامل حياتك .. ماذا اقول لامي .. بل ماذا اقول لابي الذي يظن انه ربي رجلا لعازات الزمان ونوائبه .. حنانيك ابي فقد خاب املك .. نام ابنك وقت الشده .. بناءك له كان هشا .. هل سيقبل مني عذرا .. هل ستحضنني امي وتقول لي .:

- المهم ان رجعت لنا سالما .. فداك الدنيا جميعها .. فداك نفسي لاتحزن .. رؤيتك وحدها ما يسعدني ..

هل ستقول ذلك ام ستندب حظها .. من كانت تظن انه سيكون سندا لابيه ولها ولاخواته لايستطيع ان يسند حتي نفسه .. هل ستختلي في جنب البيت وتبكي وتندب حظها .. وما عساه يقول ابي عندما يعرف قصتي .. هل سيفعل كما يفعل كل الاباء مع ابنائهم .. هل سيفرح بعودتي حتي بخفي حنين وسيواسيني قائلا :

- لا عليك يا بني .. فلكل جواد كبوه .. وما الدنيا الا مغالبه .. ومن يستطيع منا ان يغلبها .. المهم الا تتوقف .. واحمد الله انك لازلت فتيا وبصحتك .. والايام دول .. اهلا بك في بيتك وبين اهلك

هل اسمعها منه .. ام انه قد يصاب بصدمه قد تؤدي بحياته .. او تصيبه بالشلل .. ويعجز حتي عن البكاء .. وتحبس

**دمعته في مقلته .. واحمل العبء .. وأتالم كل ما اراه عاجزا .. بسبب عجزي وجهلي وقلت حيلتي .. وعيشتي في الاحلام .**

**يا الله حنانيك .. غفرانك .. يا الله لا تسؤني في والدي .. ولا تجعلني سببا لحزنهم او مرضهم او حتي كدر في لحظة من حياتهم .. اما مريم فلها الله .. لن احملها اكثر مما احتملت .. ولتسامحيني .. ولتبحث عن راحتها في عش اخر .. فلن ازيد حزنها وشقائها شقاء .. ولن اظلمها معي .**

**.....**

**يبدو ان حرارة الشمس .. والالم .. والعطش .. هي من جعلته يهذي بهذه العبارات .. والتي لم يعد يدري ان كانت حلما او حقيقه .. انتبه لنفسه ..وتوقف عن الهذيان .. ونظر الي حاله ومكانه .. انه في وسط صحراء قاحله .. خلاء لا تسمع فيه الا صوت حبات الرمل وهي تذروها ريح خفيفه علي استحياء من قيض الشمس .. تلفت في كل الاتجاهات لعله يري بصيص امل هنا او هناك .. ولكن ارتد اليه نظره كاسفا حزينا كما اطلقه .. غالب الامه وضعفه وعطشه وأتكاء علي ما تبقي له من جهد ووقف .. بالكاد كانت رجلاه تحملانه .. الي اين ؟.. سأل نفسه .. واجابها .. الي الاهل**

**والعشيره .. فمهما تكون ردت فعلهم وغضبهم وزعلهم .. فهي اهون من هذا الشقاء وان مت بينهم حزينا في كنفهم سأجد من يواري سوئتي .. افضل الف مره من موتي في هذا الخلاء .. لتتناهش ذئاب الليل وطيور الفلا جسدي .**

**تحامل علي نفسه ويمم الطريق عائدا من حيث اتي .. وكان يطرد كل الافكار والوساوس التي تحاول ان تلعب برأسه .. فلم يعد يستطيع ان يفكر او ان يجادل .. فالصداع يكاد ان يفتك به ..وكل من يراه من بعيد يظن انه مجنون .. او ان به مس من الجن .. فقد كان يشير بيديه هنا وهنا ليمنع تلك الافكار ان تتسرب اليه .. كمن يحادث آخر ويعترض عما يقوله .**

**خطواته المتثاقله البطيئه بالكاد كانت تنقله من مكان الي مكان .. فهو لم يبتعد عن مكانه الا بضعا من خطوات .. واذ بريح عاتيه كأنها الاعصار تهب فجاءة .. مثيرة الرمال في شكل دوامة .. رفع يديه ليغطي بها عينيه حتي لا تدخلها الرمال .. فلم يكن في حاجة بما عنده من الم وتعب وعطش .. ان يفقد ايضا بصره .. وضع يديه علي عينيه وتوقف حتي تمر تلك الزوبعه العاتيه .. وحاول من ورائهما ان ينظر ليبحث عن مكان يختبي فيه .. سكون .. توقفت كل شئ فجاءه ولم يعد يسمع او يحس بتلك الريح او الرمال .. واشتم رائحة زكية يعرفها .. هه .. بدأت احلم من جديد بمجرد ان اغلقت عيني .. انها رائحة شواء .. اطلق**

ضحكة عاليه .. احلم .. احلم .. شواء في هذه الصحراء الشاسعه .. قد تكون رائحة جسدي والشمس تشويه .. لكن لا الم هنا .. وببطء .. وبحذر .. انزل يديه من علي عينيه وفتحهما .. وتسمر في مكانه .. ولم يدري ما يفعل .. ايقفز فرحا .. ام يبكي الما .. ام يهرب .. هل جن .. هل هي الشمس اثرت فيه واضاعت عقله ؟.. ام هناك من يتلاعب به ليوصله للجنون .. لا اتذكر في رحلتي هذه اني اكلت اي عشبه قد تكون هي السبب .. يا الهي .. ما هذه .. هل هي حقيقه .. هل ما اراه اراه .. ام انه السراب والخيال والجوع والعطش .. هل هذه مائده حقيقه .. كيف يعقل ان توجد هذه المائده في وسط الصحراء .. وعليها هذا الكم من الشواء والخبز .. وابريق الماء .. انني اشم رائحته .. واشعر بسخونته كأنه رفع من علي النار لتوه .. وتسمر في مكانه .. وتوقف عقله عن طرح الاسئله .. لعجزه عن الاجابة عنها .. ليوقضه من حيرته ..

- تقدم .. الست بجائع ولا عطشان .. هيا تقدم وكل

وظهر اليه فجاءة من العدم ووقف قبالته ..آآآآه .. انه صاحبه الجني .. ولم يعرف هذه المرة ردت فعله هل يخاف منه ام يفرح بوجود انيس له في هذا الخلاء .. اياكل ويشرب .. ام يمتنع خوفا من تكون ورائه طلبات اخري

- تقدم يارجل .. مابك .. تقدم ولا تتردد

- حسنا .. سأتقدم واكل من اكلك ولكن علي شرط .. ان تشرح لي كل ما حدث وان توضح لي .. هل انا في حقيقة ام حلم ؟..
- حسنا .. تعال .. اجلس وكل وساحكي لك ..

تقدم هذه المرة بحذر .. قد يكون من التعب والارهاق .. وقد يكون مما بداخله من الم يعتصره علي جهله وضعفه امام الطعام .. جلس ومد يده .. وبداء في الالتهام تباعا .. والجني يراقبه .. ونسي شرطه علي الجني .. فقد انساه اسكات الجوع والعطش .. واستمر يلتهم اللحم تباعا .. ويغدق عليه الماء من ذلك الابريق .. وبداء يستشعر الشبع .. وسكت عنه الضماء .. وابطاء في اكله .. وتنفس .. ونظر الي الجني الذي وجده يراقبه وهو يبتسم .. توقف

- ها لم تقل لي ماذا حدث ؟.. هل فعلا دخلنا مغارة ام هو حلم ؟.. وهل ماشاهدته فيها حقيقه ؟..وما الذي حدث حتي اجد نفسي مرميا هنا ؟..

وبداء الجني يروي له ما حدث .. وذكره انه عندما اتفقا علي دخول المغاره ان لاينطق باي كلمه .. فقط يشير الي مايريد وهو يحضره اليه .. ولكنك لم تلتزم بما اتفقنا عليه فقلت ما قلت .. فانتبه من في السوق الي ان هناك انسي دخل الي عالمهم المحرم علي الانس دخوله ..

وكان من المفترض ان يقتلوك .. ولكن لمعرفتهم بانك لم تحضر لوحدك وانك لم تكتشف الدخول الي المغارة بفك طلاسمها .. كما يفعل بعض من يطلعون علي علم ذلك من البشر .. فقد اكتفوا برميك علي الطريق في الصحراء .

- وهل هناك من يستطيع فتحها من البشر والدخول ؟..

وسكت قليلا .. ثم حكي له كيف ان بعض من البشر يعثرون علي كتب قديمه فيها من الطلاسم والسحر ما فيها .. ومنها كتب تختص بعلمنا .. فيبدؤا يبحثون عن مكان اسواقنا ومغارات كنوزنا .. ويستعينون بشياطينهم من مردة الجن المغضوب عليهم والمطرودين من المملكه .. فالسحرة من عباد هؤلاء الشياطين .. فيستعينون بهم لفك طلاسم اقفالها .. ويطلبون منهم ان يضحون بانسان .. وان المغارات لا تفتح الا بدم لانسان به صفات محدده .. حتي يرهقونهم وتزداد قناعتهم وايمانهم بشياطينهم .. ويزداد كفرهم .

عند ذلك تذكر ما كانت تحكي له من قصص وخراريف جدته لابيه .. عن الحجيج .. وهنا لا تقصد بكل تاكيد الذين يذهبون لبيت الله تعالي .. انما الراحلين من الغرب الي الشرق .. فقد كانت تقول انهم يبحثون دائما عن طفل او صبي له صفة في عينيه تسمي الخاتم .. وهي ان

**تكون عيناه دائرية الشكل سوداء .. ولذلك كل من توجد به هذه العلامه كانوا اما يخبئونهم عند سماعهم بمرور احد هولاء .. او انهم يضعون من يراقبهم ويتتبعهم ليحميهم منهم .. اذن هذه الحكايات ليست بخرافه .. بل هي حقيقه .. ونحن من كنا نسخر من هذه الحكايات ونضنها فقط لاخافتنا ونحن صغار حتي لانبتعد عن النجع .. يا الله .. كم كان الغرور والجهل يعمينا ..**

- **وعرفوا انني انا من جلبتك الي هذا المكان .. فقبضوا علي واودعوني السجن .. ومن ثم تمت محاكمتي ..**

**انتبه اليه من شروده .. فقد كان يروي له ما حدث وهو شارد يتذكر حكايا جدته عن طالبي الكنوز .. حتي انهم كانوا يطلقون عليه ( مطلب ) فيقولون ياخذهم ليفتح بهم المطلب .**

- **هه .. محاكمه**
- **نعم ..**

**وروي له كيف انه في قوانين عالم الجن .. من يستعمل انسيا يعتبر قد خرق القوانين والاعراف .. استعمله او اعتدي عليه بدون الرجوع الي ولي الامر وتقديم حجته في معاقبة ذاك الانسي علي جرمه .. ومن الجرائم الكبري التي يعاقب عليها باشد العقوبات هي احضار بشري الي**

مدن الجن وكشف غطاء نظره ليراها كما فعل معه عندما ادخله للمغاره .. فتلك كانت احدي مدن الجن العامره .. ولكن لما قدمته لهم من حجج عن اسباب استعانتي بك واحضارك الي المدينه وكشف غطاء بصرك .. وما حل بعائلتي من ذلك الجزار .. واني وعدتك ان انجزت ما اتفقنا عليه بمكافأتك .. وهذا سبب احضاري لك للمدينه .. وان حزني ولوعتي علي زوجتي وابنائي الذين قتلوا غيله هي ما دفعني الي ذلك .. فقد تم تخفيف الحكم .. من حكم بالاعدام المباشر الي الاعدام الغير مباشر .. حيث انه اعتبروني كذبت عليهم عندما قلت لهم اني نسيت امر ذلك الجزار .

- بمعني انهم طردوك من مملكة الجن .. فطبعا نفيك من وطنك ومن بين اهلك هو بمثابة الاعدام .. ولكن قضاء اهون من قضاء
- لا انت لا تعرف قوانيننا .. ولهذا لجأت اليك
- ماذا ؟.. لجأت الي .. اتريدني ان اذهب معك الي محكمتكم واشهد معك .. تريدني ان اعود الي مدينتك .. ان ادخل كهف الموت بنفسي .. لالالا
- لالا .. ليس هذا ما اريده .. فشهادتك لاتعني لنا شيئا .. ساشرح لك

واستطرد في الحديث .. ليشرح له كيف هي القوانين لديهم .. فهي تختلف عن قوانين البشر .. فحكم

الاعدام غير المباشر يكون تنفيذه من قبل البشر او الحيوان .. فاما كان الحظ حليف من حكم عليه ونجي من الموت .. واما كان مصيره الموت وتم ما صدر عليه من حكم .. فالذي يحكم عليه بالاعدام الغير مباشر .. يطلب منه ان يتحول علي هيئة ثعبان .. وان يتمدد في يوم جمعه في مفترق طرق .. والا يدافع عن نفسه او يهرب من مكانه .. فيمكن لاي انسان ان يرميه بحجر ويقتله او يخطفه طير .. او يفترسه اي حيوان .. وبذلك يكون قد نفذ الحكم .. وقد ينجوا من ذلك لان بعض البشر قبل ان تقتل الثعبان تطلب منه الابتعاد .. عندها من حقي ان ابتعد واختفي .. حتي تغرب شمس ذلك اليوم ان لم يجدني غيره ويقتلني .

نعم .. اتذكر ان جدتي رحمة الله عليها .. كانت عندما اذهب معها في ايام الجمع .. لنجمع الحطب او بعض الاعشاب التي تستعملها في الطب العربي .. كانت عندما تري ثعبانا قبل ان ترميه بحجر .. تستحلفه بكل الانبياء والاولياء ان يبتعد عنها ويترك طريقها .. فان لم يبتعد .. تمسك حجرا وتقتله وتقول :

- هذا ثعبان كاذب .. يستحق الموت

واعلمه كيف انه بعد يومين سيكون يوم الجمعه .. وان تنفيذا للحكم سيخرج عند مفترق الطرق القريب منهم في هيئة ثعبان من شروق الشمس حتي غروبها .. فان غربة الشمس عاد الي حياته .. وعندها سيكافأه مكافأة لم تخطر له علي بال .

# الفرار :

كان الحزن يخيم علي المكان .. فبرغم حزنهم الدائم .. زاد حزنهم وآلمهم بسبب فقد مريم .. فزينب لم تتوقف عن البكاء من يومها .. وهي من سئ الي اسواء .. وامراجع دائما شارد الذهن .. ينتقل من وادي الي وادي حتي يحل الليل فيعود الي البيت فقط لينام .. واخواتها زادت معاناتهم .. فرغم الحزن والمجاعه .. زاد حزنهم لما يريانه من حالة والديهم .

ولم يكن حال اهل ارحيم بافضل من حال الاخرين .. فالليل بين بكاء الام واشتياقها لابنها .. وحزنها علي مريم .. وبين ما يعانونه من قلة ذات اليد .. والحياة لم تعد هي الحياه .. لاصوت طائر او حيوان .. ولا حتي بشر يصدر عنهم اصوات من الوهن والتعب .. بل خيالات تتحرك ببطء بالكاد ترفع ارجلها من الارض لتعيدها .. من يراهم من بعيد يهرب منهم خوفا .. فقد يضنهم اشباحا .

بداء النجع يخلوا من البيوت فلم يعد به الا بيتين بالاضافة الي بيتي امراجع واهل ارحيم .. فالكل يرحل .. يتبع بعضه بعضا وان تفاوتت المدد والاتجاهات.. فالكل يهرب .. اما الي المجهول باحثا عن مكان قد تكون فيه الحياة اقل قسوه .. واما الي احدي المدن القريبه لمن لهم

**ذوو رحم هناك .. وتنقطع اخبارهم .. لا احد يعرف ان وصلوا الي الامان .. ام ابتلعتهم الطريق واكلتهم الغيلان .**

**كانت الشمس قد بدأت تميل الي الغروب في رحلتها لهذا اليوم .. وكان والده يتابعها الي مستقرها خلف الجبل .. وهو يناجي نفسه .. هل سيكون حاضرا عند شروقها غدا .. او لن تطلع عليه شمس يوم جديد .. من سيفارقنا .. من سيغيبه الموت عنا .. فالكل يسارع الي هذه الرحله .. قد يكون باطن الارض خيرا من عاليها ..**

- **استغفر الله واتوب اليه .. يارب رحمتك .. اغثنا يا مغيث**

**قالها وقد نهض من مجلسه امام البيت .. لتنتبه له ..**

- **الي اين**
- **الي امراجع .. لم يعد لمقامنا هنا داعي .. يجب ان اقنعه بالرحيل**
- **ونترك ارحيم**
- **واين هو ارحيم .. اما انه وجد الحياه ونسينا .. او اكلته الطريق**
- **لا تقل هذا .. المهم**
- **المهم ان اذهب الي امراجع ..**

- انتظر سأتي معك

.....

كان امراجع قد عاد لتوه من تجواله في الانحاء .. فاخذ تلك القطعه من الديس وفرشها امام البيت .. سألته زوجته اتحضر له شيئا يأكله .. ردها ردا جميلا بان ليس له رغبة في الاكل .. سيأكل فيما بعد .. وهي تعلم ان هذا هو جوابه الذي تكرر مع الايام .. فالبكاد تراه يبتلع بعض القطرات من الماء لتبقيه علي الحياه .. تمدد فوق ذلك الحصير .. ونظرت هي الي بناتها فرددن اليها النظرة نفسها .. نظرة خوف واشفاق وترقب ما يأتي به المجهول .

من بعيد لاح خيال والد ارحيم يجر جسمه جرا .. كأنه يحمل احمالا لاتري .. تقدم والقي السلام وجلس الي جانب امراجع .. وجدتها الزوجة فرصه فقد يوافق ان ياكل هو وصديقه .. فقد قالت وهي ترغم ابتسامه علي ان تكسوا وجهها .. وهي تهم بالوقوف ..

- ااضع لكم العشاء .. هه ما قولك
- قدميه الي امراجع الا انا فقد سبقتكم

توقفت .. واختفت تلك الابتسامه .. وعادة الي النظر الي بناتها وتكاد الدمعة تسقط من عينيها .. فما به امراجع نفس الذي يعانيه صديقه .. فقد فقد حتي هو ابنه .. وقد تكون هي احسن حالا .. فهي تعرف اين ابنتها .. انها عند بارئها .. في يد رب غفور رحيم .. بينما ارحيم لايعرف له احد مكانا .. هل هو بخير ام لا .. هل هو حي ام ميت .. هل وصل الي مايريد ام لم يصل .. هل سيعود ام انه لن تكتحل عيونهم برؤيته مجدااا.. كانت تمنع تلك الدمعة من السقوط حتي لا تزيد معاناة غيرها .. بينما ارتفع صوتهما .

برغم الضعف والوهن الا انه لازالت هناك رنة لاصواتهم .. فقد بدأت ترتفع قليلا لتصل اليها .. كان قد بدء جدال بينهم عن جدوي مكوثهم هنا في هذه القفار .. وقد وافق امراجع رفيقه علي كل ما قال .. الا انهم اختلافا في المكان الذي يقصدون اليه.. فهو يري ان المدينه افضل مكان .. واكثر امنا .. وخاصة في سني عمرهم هذه .. فلم يعودا يقويان علي الترحال او الاعمال التي تحتاج الي الجهد والقوه .. ففي المدينه يمكن ان يجدا عملا يناسب سنهما وقدرتهما .. ورفيقه يري انه لا يستطيع ان يحشر نفسه بين اربعة جدران .. فقد اعتادا علي الفسحه في المكان .. اعتاد ان يوقضهما صوت العصافير ان تأخرا في النوم .. وبرودة نسمات الفجر والهواء العليل .. اعتاد علي ان يطلق نظره الي بعيد لا يكسره باب او حائط .. ان

ينهض في الصباح ليري الشجر والتراب والعشب .. يشم ريحهم .. تحمل اليه نسمات الفجر عبق نباتات الجبل من الاكليل والزعتر والزهيره والبطوم .. اعتاد عندما يصيبه هم او كرب او حزن .. ينطلق في البراري ويجلس علي اول صخرة او تحت شجرة ويضع يده علي خده ويطلق غناوة علم تزيح ما علي قلبه .. فكيف يحبس نفسه بين اربع جدران تضيق الخناق عليه وقد يختنق .. وامراجع يوافقه علي ذلك .. وعلي ان المدينة سيكون العيش فيها كالحكم عليهم بالسجن .. ولكن برغم قساوة السجن فهناك سجان يوفر لك الامان .. ويعطيك ما تسد به رمقك .. وتنام هانئا علي نفسك واسرتك .. وان اصلح الله وامد في عمرنا سنعود الي ما قلت .. او ان المك الحنين تستطيع ان تخرج الي الخلاء بضع سويعات .. ولا تبتعد بعيدا .. انظر من رحل منا في السابق الي المدينه.. خيرالله .. بومجاور .. ماشاءالله .. رحلوا ولم يعودوا وقد استطاب لهم العيش في المدينه والان هم لايستطيعون مفارقتها .. انا سأرحل الي المدينه .. لن اخاطر ببناتي واهل بيتي في البقاء هنا .

- اذا موعدنا الفجر .. وماكتبه الله علينا هو ما يكون ..

.....

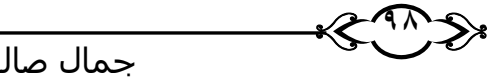

لم يدم النقاش طويلا مع ام رحيم .. فقد كانت حجة والده اقوي من حجتها .. وكان ما يعانونه اكثر اقناعا لها .. وخاصة ان امراجع ايضا وافق علي الرحيل وسترحل صديقتها .. فلم يعد لها من لاجله تبقي .. وان كان في العمر بقيه .. واعاد الله ارحيم سالما .. سيبحث عنهم بكل تأكيد .. وسيدله قلبه اليها .

مع نسمات الفجر .. وتباشير الصباح .. ولكن لازقزقة عصافير .. ولاثغاء شياه .. كانت الايادي تعمل في هدم البيتين .. وتجميع حاجياتهما .. والسكون يلف المكان .. كأن لاحياة فيه .. وما بدأت الشمس في اطلاق اولي سهامها .. حتي تحرك الركب .. وقد خرج من تبقي من اهل النجع بوداعهم .. ولا تسمع الا اصوات بعض من العبرات المكتومه التي تذرف علي ترك مسقط الرأس .. وعبارات لاتغني شئ من الادعية المكررة بالسلامه والعوده عن قريب .. مع ابتسامة امل .. فقد تكون الايام القادمه افضل .. وبداءات المضارب في الاختفاء مع تقدمهم في المسير .. واشعة الشمس اخذه في الانتشار تنير لهم دربهم .

توقف امراجع والتفت الي ناحية النجع .. واطال النظر اليه .. فهاهو يودعه مجبرا .. قاربت سني عمره الستين .. ولا يتذكر انه فارقه الا اذا كان غائبا مع قطيع الاغنام او في رحلة الي المدينه ليجلب ما يحتاجونه

**منها .. وكان يعيده الحنين اليه .. فهل سيعيده هذه المره .. ام انها ستكون المرة الاخيرة التي تكتحل عينيه برؤيته .. ياااه .. من كان يظن انني سأقوي علي فراقك .. من .. واغرورقت عيناه .. وخاف ان تغلبه العبرات .. فمسحهما بذراعه .. واشاح بوجهه عنه .. وواصل المسير معهم .**

*****

# المدينة :

**المدينه في تلك الفتره كانت تختلف الحياة فيها بكل تاكيد عن الباديه .. فرغم ان اعتماد جل مواردها هي من الباديه .. فاللحوم والالبان والاصواف والزبد والسمن كان مصدرها الباديه .. كما كانت المحاصيل الرئيسيه .. الشعير القمح الفول الحمص ايضا هي من الباديه خارج المدينه .. حتي البطيخ والشمام .. كانت من مناطق يطلق عليها اسم ( البعالي ) هي من توردها للمدينه .**

**فلم يكن بالمدينه الا الخضروات واشجار الفاكهه .. من برتقال وكمثري ومشمش وليمون والعنب والموز.. بالاضافة الي بعض الفواكه النادره التي جلب اصحابها غرسها من دول مجاوره .. كانت بها ايضا شجيرات الورد والرياحين .. كالياسمين والورد والنسري فلا يخلوا بيت منها .. ففي الصباح الباكر ومع نسمات الفجر .. وتعالي اصوات الاذان وصياح الديكه .. تستنشق ذلك النسيم المعطر بالياسمين او الزهر .. او تعبق رائحة الورد والقرنفل .**

**فقد كانت غالبية منازل المدينه التي في غالبها تتكون من طابق واحد الا ما ندر .. كان وسط البيت غير مسقوف .. ودائما ما تغطيه تلك الكرمه .. التي تنتج ورق**

**العنب في الربيع .. والعنب في الصيف .. وكان بكل منزل قطعة صغيره للزراعه .. وبعض البيوت ملحقه اصلا بارض زراعيه كانت هي السانيه .**

**وحياة المدينه تعتمد علي التكافل كما هي في الباديه .. وقد تكون حياة الباديه لقساوتها قد اعتاد فيها الناس علي الترحال وراء المراعي .. بحيث ان غياب احدهم فترة من الزمن لاتعني شيئا .. بينما في المدينه .. كان الكل ينتبه اذا تغيب احدهم .. فالكل يعرف ان كان تغيب احدهم في سفر لتجارة او لحج .. غيرها في غيابك عن مصطبة الشارع او عن الصلاة في الجامع تقلق الجيران والاهل والاصحاب .. وكان سكانها لاينتمون الي قبيلة واحده .. وقد لايوجد ما يربط الجيران بعضهم ببعض الا الجيره .. فليست اواصر الدم هي التي تربطهم .. فهم من شتي القبائل .. والاجناس ذابت بينهم الفوارق بالمصاهره .. فاصبحت نسيج واحد.. ومن شتي الاعراق .. ففيها الذي اصوله عربيه من الجزيره .. ومنهم من اصوله من الغرب البعيد .. ومنهم من هو قادم من مجاهل افريقيا .. ومنهم القليل او من لايعرف انه من اصول السكان الاصليين للبلد.. ومنهم من قد تكون اتت به رحلته بحثا عن الرزق .. او كان في ما مضي ممن جلبوا هو او جده كرقيق يباع في الاسواق .. وبعد ان اعتق قرر البقاء في مدينة عاش فيها طفولته وصباه .. وخاصة ما كان يلف المدينه من حب الناس**

بعضها لبعض .. وتوفر الامن بها .. فالدولة في حينها كانت تبسط نفوذها بالقوة .. فالعقوبات لا ترحم من يخالف .. والجندرمه بالمرصاد له .. وكانت دائما هناك شراكه بين من هم في المدينه وبين من هم في الباديه .. فكثير من اهل المدينه يملكون اغنام وابقار وابل .. يشاركون فيها اهل الباديه .. هذا برأس المال وذاك بالجهد .. وكذلك الاراضي وزراعة المحاصيل .

ولكن اهل المدينه في زراعتهم لايعتمدون علي سقوط الامطار في فصل الشتاء .. بل هناك مجري ماء .. الساقيه .. تنحدر من اعلي الوادي ماء نبع صافي يهدر عند مصبه لا احد يعلم الا الله متي بدي جريانه .. تنقل الساقيه المياه في شبكة ابدع صانعها في اتقانها .. تنقلها لتمر بمعضم بيوت المدينه وتصل الي كافة سوانيها .. فقد كانت تستعمل بالاضافة الي الري .. للشرب والغسيل .. وكان هناك متابعون مكلفون من الدوله لمتابعتها .. والمحافظة علي نظافتها .. وتقسيم ادوار الري في مواعيد منتظمه بين اصحاب السواني .. مياه عذبة حلوة باردة صيفا دافئة شتاء .

وكانت اعمال اهل المدينة تختلف كل حسب قدرته وما قدر له .. فهذا مزارع وذاك تاجر .. والاخر صاحب مقهي .. وهذا حمال علي عربة يجرها حمار .. والاخر حمال بدون عربه .. وهذا براح .. مهمة الاعلان عن اخبار

**المدينه من بيوت للبيع او للايجار .. كما كانت مهمته الاعلان عن حالات الوفاة بالمدينه محددا اسم الميت ونسبه وساعة الدفن ومكان العزاء .. وهذا يشتغل اسكافي او خراز .. وذاك تاجر وصائغ للذهب .. ومنهم من هو مؤدب للاطفال .. يعلمهم القراءة والكتابة ويحفظهم القران الكريم .. ومنهم من عملة امام وفقيه المسجد .. والفقيه الذي يعالج الناس بكتابة الادعيه وقراءتها .. ومنهم السفناز وهي من اندر المهن .. وعادة ما يقوم بها القادمين من الغرب .. ومنهم من يمارس طب العرب والحجامه .. بالاضافه الي العاملين في ديوان الدوله من حرس وجندرمه وعمال للنظافه وما الي ذلك .**

**كان الامن والامان منتشر ليل نهار .. فالملاحظ لذلك عند دخوله للمدينة في وقت من اوقات الصلاه يظن المدينة خالية من سكانها .. بالرغم من ان كل المتاجر مفتوحه علي مصرعيها .. البقاله والخضره والذهب والملابس .. لا يحرسها احد .. بل تجد عند باب بعضها وضع كرسي ..او عصي .. كأنها علامة تدل علي ان صحاب الدكان سيعود قريبا .. فهو ذاهب للصلاه .. لا احد يعتدي عليها .. لانه لا يوجد احد كلهم في المساجد .**

**كان والد ارحيم قد زارها من قبل عدة مرات .. فقد كان يحضر اليها ليبيع ما لديه من انتاج .. من الزبد والسمن والصوف وبعض الاغنام .. وقد يبيع ايضاء البيض واللبن**

**الحامض .. وبعض من ثمار الجبل .. مثل البطوم .. والقلعز .. والزعتر والاكليل .. فكلها مطلوبة في المدينه .. وفي وقت القمحي او السكران كان كذلك ينزل الي المدينه ليبيعه .. وكان بالمقابل يشتري ما يحتاج اليه النجع .. من سكر وشاي وارز .. والملابس .. وقد يشتري بعض الحلوي والفاكهه التي يشتهيها الاطفال او احدي نساء الحي الحوامل .**

* * *

# الفراق :

**هاهو يوم الجمعة تشرق شمسه .. لتفتح باب ليوم جديد .. تنعكس تلك الاشعه علي حبات الرمل الذهبيه .. وكأنها ضفائر شعر احدي الشقراوات تمشط شعرها مع بزوغ النهار .. وتهب نسمة من الشمال تحمل رائحة البحر .. توقض ارحيم الذي غلبه النعاس وهو يجاهد النوم .. لينهي هذا اليوم علي خير .. ويعود الي اهله .. فلم يعد يطمع في شئ .. لا في الذهب ولا في المال ولا قطعان الغنم .. المهم ان يعود الي بيتهم ليرتمي في حضن امه .. ويبكي .. يبكي عجزه وقلة حيلته .. يبكي ضعفه وحظه العاثر .. يبكي اشتياقا لها ولابيه ولاهله .**

**يعود ليمتع نظره برؤية مريم .. آآآآه كم اشتاق لنظرة منها بتلك العيون التي تشبه صفاء السماء في يوم ربيعي .. عيون المهي لا تنافس عينيها .. نظرة من تلك العيون التي تشوبهم زرقه .. وابتسامة من ثغرها تعيد اليه الحياه .. وان يشتم ريحها .. المشوبة برائحة القرنفل التي تدهن به شعرها .. تلك الجدائل المسدله كأنها هدوب الليل .. يموت .. يدفع عمره كله لقاء نظرة اليها وهي تتهادي قادمة الي النبع وهي تحمل تلك القربه .. لتجلس بين زهور الزهيره ونبات الاكليل .. آآآآه ومائة آآآآه .**

**قف .. قالها لنفسه .. هاهي الشمس قد ارتفعت في السماء .. فدعك من الاحلام .. تحرك .. وانظر ان كان اتي صاحبنا .. هه .. هذه اخر ما وصلت اليه .. تحرس ثعبانا .. الرجال يحرسون القوافل .. يحرسون النجوع .. يحرسون الاغنام خوفا عليها من الذئاب .. وانت تقف اليوم بطوله لتحرس ثعبانا .**

**وقف بتثاقل .. وهو يجر نفسه جرا .. واتجه الي تلك الصخرة التي وضعت لتدل القوافل علي الطريق .. فهنا مفترق طرق .. هذه الطريق التي تذهب بك الي مجاهل الصحراء .. وهذه غربا .. وهذه شرقا حيث نجعنا .. وهذه الي الشمال حيث البحر .. اقترب من الصخره .. بحث بجانبها .. وجده .. ثعبان متوسط الحجم .. لونه يميل الي الاخضر منه الي الابيض .. ملتف علي نفسه في عدة طيات .. يبدو منها انه يتجاوز المتر طولا .. نظر اليه مليا .. القي عليه السلام .. لا احد يرد .. اعاد القاء السلام .. ولكن ما من مجيب .. تبسم ساخرا .**

**يبدو ان رحلتي .. والصحراء قد اثرت عليك يا ارحيم .. هل جننت لتتحدث الي ثعبان هل هذه نهاية رحلتك .. الجنون .. هه .. هل انا مجنون ام عاقل .. وكيف اعرف انني لست مجنونا يهيم في الصحراء علي غير هدي .. كيف ؟.. هل يكون ما اذكره واحلام المنام واليقظه كلهن من الجنون .. هل اتوهم ما يحصل وما حصل لي .. هل ابي**

**وامي ومريم واهلي وكل عشيرتي .. وهم .. نجعنا والنبع وهم .. القحط والجفاف وضنك العيش وهم .. رحلتي ولقائي بالجن وهم .. ذهابي الي تونس وضيافتي عند ذاك الجزار الطيب وهم .. عودتي وانا اطير علي ذلك الفرس وهم .. دخولي مدينة الجن والذهب والفضه والمجوهرات وهم .. اذا اين الحقيقه ؟.**

**هل كله من خيال عقلي .. اي عقل .. هل هي هلوسات عقلي المريض .. هل انا ما وجدت عليه نفسي مرميا في الصحراء علي قارعة الطريق بدون خرج او قربة ماء.. اذا انا لم اتسبب في قتل ذاك التاجر الطيب الذي اكرمني واحسن ضيافتي .. ولم اذهب اصلا الي بلاد اخري .. نعم .. انا لم اذهب الي اي مكان .. ان كنت ذهبت .. فأين الفرس التي ركبتها ؟.. كيف اختفت فجاءه ان لم تكن خيالا ؟.**

**ولكن من اين انا اذا .. وكيف اتذكر .. ابي امي .. مريم .. سي امراجع وعمتي زينب.. وابناء عمومتي .. عطيه ومحمد وعمر .. والجبل والبيت والنجع .. وينبوع الماء الذي كنا نرده .. والتقي به مريم .. هل هذا كله ايضا من الجنون .. لالا انا لست مجنونا .. انا ارحيم ولد سليمان وابن جفول .. نعم انا ارحيم لست مجنونا .. وكل ما حدث حدث فعلا وليس خيالا .. والدليل هذا الثعبان الذي احرسه خوفا من ان يمر احد فيقتله .**

**فعلا هذا هو الدليل علي اني عاقل .. ولست مجنونا .. هه .. الدليل علي عقلي حراستي لهذا الثعبان .. انتبه يا ارحيم .. هذا دليل علي الجنون وليس العقل .. هل هناك عاقل يقف في وسط الصحراء ليحرس ثعبانا .. ممن .. ممن يحرسه ؟.. هل يوجد غيري في هذه الصحراء .**

**التفت الي الثعبان .. صاح فيه .. اجبني .. تكلم .. لا احد يرانا .. قل اني لست مجنونا هل انقطع لسانك وعجزت حتي عن الكلام .. ليرفع الثعبان رأسه ويخرج لسانه ويحركه كما تفعل الثعابين عادة .. تكلم .. قل لي شيئا .. والا قسما بمن خلق السماء ساتركك لوحدك .**

**ماذا تفعل يا ارحيم وفيمن تصيح .. لو مر احدا الان بك .. ووجدك في وسط هذه الصحراء تتحدث الي نفسك .. او كما تقول تتحدث الي الثعبان .. ماذا سيقول ؟.. هه.. لو سألته ماذا سيقول .. ها ان لم يجفل ويخاف منك ويهرب .. ماذا سيقول عنك .. انك عاقل وعقلك كما تقول يزن بلدا بكامله .. ام ان ما يراه .. هو احد المجانين جالسا علي صخرة في مفترق طرق ويحدث نفسه ويصرخ بين الحين والاخر .**

**لالا لست مجنونا .. سأتركك هنا لوحدك .. نعم سأتركك .. سألتك ولم تجب .. وانت جني تستطيع الكلام .. ولاتأكد انني لست مجنونا فليس هناك من دليل ابحث عنه**

**الا ان اعود الي النجع .. واري ابي وامي ومريم .. نعم .. فهم دليل وجودي وعقلي .. وانني لست مجنونا ولا احلم .. سأتركك لمصيرك .. فان كنت مجنونا فلن يضرك شئ من جنوني وان كنت عاقلا .. فهذه الصحراء لن يأتيك احد ولو حتي بعد عدة ايام فلا تخف .. اتركني في حالي .. واتركك في حالك .**

**وقف منتصبا كأنه يعلن عن تحديه .. ونفخ صدره .. وفرك عينيه بقوه .. وتلفت هنا وهنا .. واستنشق كمية كبيرة من الهواء .. وزفرها كأنه يرمي ما في صدره من خطرات .. وهم بالتحرك لكنه توقف ونظر الي الثعبان نظرة مودع .. اعرف انك ان كنت حقا جنيا تلوم علي .. وتصفني بمخلف وعدي لك بان احرسك .. ولكن ما يدريني ان كنت حقيقه ام وهما .. علي كل الاحوال سأتركك .. ان كنت حقيقه فارضي ما قسمه الله لك .. وان كنت اضغاث احلام وهلوسات .. فقد تخلصت منك وتخلصت مني .**

**تحرك بخطي يحاول ان تكون سريعه ليبتعد عنه .. وكأنه يهرب من شئ يخافه او لايدرك كنهه .. يريد ان يبتعد .. ويبتعد .. ويبتعد عن كل شئ .. اكان حقيقة ام وهما.. ولكنه لم تطاوعه نفسه الاماره .. بالسوء ام بالخير .. لا يعرف اين منهما .. اوقفته حيرانا .. فقد جال في خاطره ان كان كل شئ حقيقه ولم يكن هلوسات الجنون .. فانه بذلك يرتكب جريمته الثانيه .. الا يكفي دم ذاك الرجل الطيب**

**في رقبته .. الا يكفيه حتي يحمل في عنقه دم جني .. ولعل الجن بعد ذلك تعلم بقصته .. فتبحث عنه لتنتقم منه كما انتقم صاحبه من الجزار .**

**وتردد بين ان يعود ويجلس علي تلك الصخره ليحرس ثعبانا .. وبين ان يذهب في حال سبيله ليري ان كان حقا عاقلا ام مجنونا .. وكلا الطريقين امر من الاخر .. فلو اكمل يومه جالسا حتي تغيب الشمس واكتشف ان الثعبان ثعبان .. وانه ..... اذا سينتهي المطاف به الي الجنون لامحاله .. وبين ان يذهب ليبحث عن نجعهم .. ويتأكد بنفسه انه كان علي حق .. وانه بكامل قواه العقليه بعدما يري ابوه وامه .. ومريم .**

**والتفت الي طريقه وخطي مواصلا سيره الي ذاك المجهول .. الذي بعد ان كان حقيقه اصبح بين البين .. ولكن .. هاهي نفسه تلومه مرة اخري .. توقفه .. تناديه .. اعمل معروفا اخيرا .. حتي لاتنقطع المروءه وتصبح تعض اصابع الندم انك كنت السبب في هلاك ذاك الجني .. اقل ما تفعله .. اخلع قميصك وارمه عليه .. غطه به .. حتي لايراه احد .. ان مر احدا اصلا من هنا .. فان كان فعلا جنيا سيكافئك ويشكر لك صنيعك .. وان كان من بنات عقلك المريض لن تخسر شيئا فهو بالكاد يسمي قميصا لكثرة ما فيه من رقع وتمزقات .. لا تستر شيئا .**

اعجبته الفكره استدار وبداء في خلع قميصه .. ورجع الي حيث الصخرة .. فوجد الثعبان لازال قابعا بجانبها .. رفع رأسه اليه واخرج لسانه .. ونظر اليه مليا .. واعتذر منه .. فلم يعد يستطيع .. لم يعد يستطيع ان يتحمل ما في رأسه .. يكاد يفتك به .. ولن يتحمل ان يبقي هنا والحقيقة غائبة عنه .. اعذرني .. واخر ما استطيع فعله سأغطيك بقميص وهو كل ما املك .. ولتكن ارادة الله .. رمي القميص علي الثعبان ورجع يغض السير باتجاه نجعهم .. معاهدا نفسه الا يلتفت الي الوراء ابدا .. مهما حدثته نفسه .. الذي اقسم لها انه لن يسمع منها مرة اخري .. فهي من اوحت اليه اصلا بفكرة الرحيل عن نجعهم .. فرغم قساوة العيش كان سعيدا مع اهله .. يكفي انه كان يري مريما كل يوم .. فتوقفي عن لومي فما عدت احتمل .. وما عدت استطيع ان افعل شيئا .. واخذ يغالبها .. وهو يسرع مبتعدا .. طاردا كل فكرة او همسة تحاول ان تقترب من عقله لتثنيه عما اعتزمه .. وهاهي اولي الهلوسات والهمسات يكاد يسمعها تناديه ..

- انت .. أأأأاايه .. يارجل .. قميصك يا رجل

هه .. الان عز عليك قميصي .. الم تقولي ان خرقة باليه من كثرة ما به من رقع وتمزقات .. الان تريدني ان اعود .. واخذه .. وهكذا حتي ينقضي النهار وانا بين اخذه .. وبين العودة لتركه .. لتأكدي لي جنوني .. فبكل

تاكيد كل من يراني في هذا الخلاء وانا انزع قميصه وارميه عن تلك الصخرة ثم اعود اليه وارتديه واذهب .. ثم اعود اليه وانزعه من جديد وارميه .. سيتأكد بانني مجنون

- انت .. يا رجل .. أأأأأأأيه يا اخي .. تركت قميصك

لم يكن هذه المرة صوت همس نفسه .. او من داخل عقله وفكره .. بل كان صوتا ياتيه من بعيد .. من خلفه صوت .. يالله .. هل هي الهلوسات عادت الي من جديد .. لالا انه صوت اسمعه بكل وضوح .. االتفت لاتأكد .. ام لا .. انا اقسمت علي ان لا التفت ابدا الي الخلف ..

- يا رجل هل انت اصم .. اناديك .. تركت قميصك

لا .. هذا حقيقه .. فقد ازداد الصوت علوا واقترابا .. وصوت ضعيف لوقع خطي علي الارض .. تقطع ذلك السكون المسيطر علي الصحراء .. التفت بكل حذر .. يا الله .. يا الله .. حنانيك .. ما هذا ؟.. فقد كان رجلا قادما الي ناحيته ممسكا بقميصه بيده ويشير اليه .. ويسرع الخطي اليه .. من .. من هذا ؟.. ايكون الجني قد ظهر في صورة رجل ؟.. هل هو يتحايل عليه ليعود ليحرسه .. لالا .. انه رجل .. انسان .. ها قد بداء يقترب منه .. هاهو يدنوا وبيده بقايا تلك الخرقة الباليه التي تسمي قميصا .. هاهو يدنوا وقد ابطاء الخطي .. هاهو يلقي التحيه ..

- السلام عليكم
- وعليكم السلام
- يا اخي اتعبتني وانا اصيح .. الم تسمعني ..
- لم اسمعك الا ..
- لقد انجاك الله بنسيانك هذا القميص .. رزق حلال ..
- هه .. هذه الخرقة الباليه تدل علي الرزق الحلال ..
- نعم فقد انجاك الله بفضل هذا القميص .. فعندما رفعته بحذر .. وجدت تحته ثعبان .. فرميته بحجر فقتلته ..
- قتلت الثعبان
- نعم .. ثعبان في يوم جمعه .. بكل تاكيد هذا ثعبان كاذب يستحق الموت ..

يا الله .. يا لحكمة القدر .. ثعبان كاذب .. هذا ما كانت تقوله جدتي .. وهذا ما كان يخشاه ذلك الجني .. ها قد تبين كل شئ وضاع كل شئ .. ضاعت المكافأه .. ولم يعد امامي الا ان اتأكد من وجود النجع واهلي .. وانتبه للرجل واخذ منه القميص شاكرا له علي صنيعه ..

- ان كنت ذاهبا شرقا كن رفيقي للطريق
- طريقي الي الشمال .. صحبتك السلامه

وذهب لا يلتفت لشئ .. كأنه كان مرسلا لانجاز هذه المهمه .. ارجاع قميصي وقتل الثعبان .. او ذلك الجني .. لاذهب فمازال الطريق امامي طويلا .. ولا ادري هل الطريق سيوصلني ام ابقي كما انا ؟.

## الحضن :

هاهو اخيرا .. يصعد تبه وينزل واديا .. هاهو يقترب من مضارب نجعهم .. هاهو يقترب .. فبعد هذه التبه سيلقي الاحبه .. ابيه وامه .. ويلقي الحبيبه .. سيعرف انه ليس بمجنون .. وسيتحمل كل كلمات التأنيب والعتاب ولن يجادل احد .. سيقنع ابيه بان يخطب له مريم .. وسيرحل الي المدينه .

هاهو يعتلي التبه .. ليتوقف .. اين نجعنا .. اين البيوت .. اين الاحبه هل ..؟؟ لالالا لست بمجنون .. هاهي اثار البيوت .. وهاهي شجرة الزيتون رغم انها لم يبقي منها الا القليل ولكن هاهي .. هاهو كهف المونه .. لكن اين هم .. هل انتقلوا .. هل رحلو .. وبداء يقترب رويدا رويدا .. فقد هده التعب والطريق .. وزادته الصدمة تعبا .. ولكن الي اين رحلوا .. هل رحلوا الي المدينه .. ام الي مكان اخر .. يا الهي هل هذا عقابك لي .. ام هو دم ذاك الرجل الطيب .. وازدحمت الافكار والخواطر في رأسه .. وازداد الالم والصداع .. وفجاءه احس بصوت خربشه قادما من ناحية الكهف .. هه هل هناك احد .. ام انه حيوان .. قد يكون ضبعا او ذئبا .. وقد يكون ارنبا بريا .. وقد يكون ثعبانا كثعباني .

تقدم بحذر ناحية الكهف .. تقدم وقف علي بابه .. انتظر .. لم يعد يسمع ذاك الصوت .. ولكن هناك صوت انفاس تتردد رغم ضعفها .. قد يكون حيوانا .. التقط حجرا .. رماه بداخل الكهف .. ولكن لم يسمع شيئا ولم يخرج حيوانا .. اقترب اكثر صاح :

- اااايه .. انت .. يا من بداخل الكهف لاتخف

ولكن لم يجبه الا تردد كلماته .. وصداها داخل الكهف .. وهذا ما زاده خوفا وريبه لو كان من بداخل الكهف انسانا لرد عليه .. واخذ يفكر ماذا يفعل .. ان كان احد من النجع بكل تاكيد سيعرفه .. ولكن قد يكون رأه من بعيد عاريا .. وشعره الاشعث ولحيته التي طالت .. فقد يكون خاف منه ان يكون احد الغيلان .. فاقترب وصاح :

- ايه .. انت .. ان كنت من اهل النجع .. او النجوع القريبه .. فلا تخف انا ارحيم ابن سليمان .. ان كنت تعرفه ..

وتوقف .. ساد الصمت للحظات .. لم يتحرك ولم يسمع شيئا .. ولكن كأنه سمع وقع اقدام تتحرك ببطء .. تراجع الي الخلف .. فهو لا يدري من بداخل الكهف .. قد يكون انسيا وقد يكون حيوانا .. وقد يكون احد الغيلان يتحين الفرصه ..

**تراجع وابتعد قليلا عن فتحة الكهف .. بينما صوت الخطي من الداخل يقترب .**

**لم يطل انتظاره فقد اطل من فوهة الكهف عجوزا .. اشعث الشعر ذو لحية كثيفه .. يرتدي بعض الاسمال .. ويتوكاء علي عصي يبدو انه اقتطعها من الزيتونه .**

**ونطق هذا الانسان او هذا الشئ .. رغم انه لم يري فمه الذي يختفي وراء شعر شاربه ولحيته .**

- **ارحيم ولد سليمان .. هل هذا معقول**
- **هل عرفتني ياعم .. هل تعرفني**
- **نعم يا بني .. انا عمك رحيل**

**واقترب منه .. ورمي عصاه .. وقفز كل منهم في حضن الاخر .. وانهالت الدموع .. ولم يدر كم مضي من الوقت وهو في حضنه .. وهدأة العبرات .. كأن كل منهم ارتوي من الاخر ..**

- **تعال اجلس يابني .. فمن فترة طويله لم اري احد**
- **واين ابي وامي واخوتي .. واهل النجع كلهم**
- **لقد رحلوا يا بني .. كلهم رحلوا**
- **رحلوا .. الي اين .. حتي عم امراجع رحل .. ومريم**
- **نعم كلهم رحلوا الا مريم .. تركوها هنا ..**

**وقفز قلبه بين ضلوعه .. اااااااااه .. مريم رفضت الرحيل لان قلبها كان دليلها .. كانت تعرف انني سأعود .. حنانيك يارب .. الحمدلك .. كان هذا ما يدور في رأس ارحيم .. بين ما كان يدور في راس رحيل شئ اخر .. لم يستطع ان يبلغه انها رحلت لوحدها .. وتركتهم جميعا .. وانه لا يستطيع ان ينقل اليه هذا الخبر .. فكيف يكسر قلبه ..**

- **واين هي الان .. بالله عليك دلني علي مكانها**
- **سادلك علي مكانها .. لكن اجلس وارتح قليلا .. وحدثني الي اين ذهبت .. وماذا حدث .. ولماذا عدت ؟؟**
- **ساروي لك كل شئ .. الان دلني علي مكانها .. واعدك انني ساعود لاروي لك حكايتي كلها**
- **يابني لم العجله**
- **ارجوك يا عمي**

**التقط عصاه .. واشار اليه بان يتبعه .. وسارا في خطوات بطيئه .. فقد بلغ العمر والوهن برحيل ما بلغ .. ورغم ما كان يعانيه ارحيم من تعب وانهاك كان يتمني ان يطير ليلتقي بمريم .**

**نزل الوادي .. ثم صعد التبه .. اقتربا من المقبره .. وبدأت الحيرة والهواجس تداعب رأس ارحيم .. اقتربا .. ووقف رحيل وسط القبور ..**

- لماذا وقفت هنا .. هل تعبت .. اتريدني ان احملك
- لا لا .. لقد وصلنا
- ماذا هل مريم تسكن بين القبور ..

لم يجبه .. ولكنه رفع عصاه واشار الي قبرها .. لم يفهم اول الامر .. تتبع العصي الي ما تشير .. ثم اعاد النظر الي عمه رحيل كأنه يسأله .. الذي هز رأسه .. عاد بناظريه يتبع العصي .. لم ينبس ببنت شفه .. انتزع رجليه من الارض نزعا .. وغالب انهياره وانكساره .. واتجه الي القبر .. جلس بجانبه .. ثم ارتمي عليه وحظنه .. واخذ يغط في نوم والابتسامة تغطي شفتيه .. نظر اليه رحيل مليا .. هز رأسه وتمتم :

- نعم نم في حضنها .. او دعها تنام في حضنك .. احلم .. فلن تستطيع العيش في هذه الدنيا بدون حلم .. لن تستطيع الاستمرار في الحياه .. رغم ان الحياة نفسها لم تعد تستحق الحلم *

# محتوى الكتاب


بطاقة الكتاب ..... ٢
الـــــــ ..... ٣
النجع ..... ٢٧
الطريق ..... ٣٣
قلب الأم ..... ٤٢
الضيافة ..... ٤٩
الرحيل ..... ٥٣
الرقية ..... ٥٧
مريم ..... ٧١
العودة ..... ٧٦
الفرار ..... ٩٤
المدينة ..... ١٠١
الفراق ..... ١٠٦
الحضن ..... ١١٥
محتوى الكتاب ..... ١٢٠